

جوت لیونز

# ششوی مسکی

ترجمہ: و. محمد زیاویہ



النادی الأدبی بالرياض ۱۴۰۷ھ - ۱۹۸۷م



جوت ليدز

# نشو مسڪي

ترجمہ: و. محمد زيار ونگ

النادي الأدبي بالرياض ١٤٠٧ھ - ١٩٨٧ م

الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

## توطئة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم المرسلين، وبعد  
اتخذ علم اللغة خلال السنوات الماضية طابعاً خاصاً فقد انتشرت دراسة هذا  
العلم على نطاق واسع في جميع الجامعات العالمية التي أخذت تتنافس فيما بينها  
من أجل تطويره والوصول به إلى الدرجة المطلوبة من الدقة والشمولية التي تصبو  
إليها النظرية اللغوية. وأمام هذه الحقائق رأيت أن من المفيد للقارئ والباحث  
العربي أن يقف على أهم التطورات في هذا المضمار الحديث وأن يكون على  
معرفة بالرجل الذي يذكر اسمه كلما ذكرت اللسانيات. ولا ريب في أن معظم  
المهتمين بالبحث اللغوي قد قرأوا أو سمعوا عن تشومسكي وأثره في اللسانيات  
الحديثة. وهذا الكتاب الذي ألفه اللغوي جون ليونز والذي أضع الآن ترجمته بين  
أيدي القراء يقدم لمحة موجزة عن أهم المنجزات التي حققها تشومسكي في هذا  
الميدان.

ولسوء الحظ فإن المعجم العربي لا يزال يفتقر إلى الترجمة الدقيقة لكثير من  
المصطلحات اللغوية الحديثة، هذا على الرغم من وجود محاولات عديدة قام بها  
أساتذة مختصون لتعريب تلك المصطلحات، إلا أن جهودهم لم تحقق الغاية  
المطلوبة لأنها كانت جهوداً متفرقة يعوزها التنسيق والتوحيد، ولا يزال لكل  
اجتهاده في هذا المضمار. من هنا كانت الصعوبة في ترجمة هذا الكتاب، فهو —  
رغم قصره — دقيق في تعبيراته ومعقد في مصطلحاته.

وأحب في البداية أن أشير إلى بعض النقاط الهامة التي لا بد من ذكرها،  
فأولاً، وقبل كل شيء فإن الأمثلة التي أوردها المؤلف هي خاصة باللغة الانكليزية،  
والانكليزية — كما لا يخفى على المهتمين بالبحث اللغوي — تختلف في تركيبها  
عن العربية، حيث تتبع الأولى نظام SVO أي الفاعل فالفعل ثم المفعول به بينما تتبع  
الثانية، بصفة عامة، نظام VSO، أي الفعل فالفاعل ثم المفعول به. وأمام هذا  
الاختلاف لم أجد مفرأ في ترجمتي من استبدال بعض الأمثلة الانكليزية التي أوردها

المؤلف بأخرى عربية لإيضاح النقاط المطلوبة. والأهم من هذا، فقد قمت باستبدال القواعد البنيوية التي ذكرها المؤلف بالنسبة للغة الانكليزية بمجموعة أخرى في اعتقادي أنها تلائم لغتنا العربية، كما أوردت مجموعة من القواعد التحويلية مغايرة لتلك التي أوردها المؤلف وذلك للسبب ذاته. وقد أخذت باعتباري كذلك الجهة التي تكتب بها كل لغة، فالانكليزية تكتب من اليسار الى اليمين، بينما تكتب العربية من اليمين الى اليسار، اذ ان القواعد والجمل التي توصف بها على علاقة وثيقة بالجهة التي تكتب بها اللغة.

وربما يتساءل القراء عن جدوى ترجمة مثل هذا العمل اذا كانت كل الأمثلة فيه مستمدة من اللغة الانكليزية. وللإجابة عن هذا التساؤل أكرر ما يقوله تشومسكي وهو أن جميع اللغات متماثلة في جوهرها — فالنظرية اللغوية هي واحدة بالنسبة للغات الانسانية — أو هذا هو الهدف الذي نصبو اليه على الأقل، كما أن التحليل النفسي للغة — حسب اعتقاد تشومسكي — يجب أن يكون واحداً، وبناء على ذلك فإن الاختلاف في البنية السطحية لا يؤثر في جوهر النظرية.

وحرصاً على مبدأ الأمانة في الترجمة فقد أشرت الى الأمثلة التي قمت بتغييرها في حواشي الكتاب، كما حرصت على ذكر الأمثلة الأصلية للمقارنة بين اللغتين العربية والانكليزية، كما أوردت في الوقت نفسه التعبيرات الانكليزية المهمة الى جانب العربية تجنباً للالتباس.

وبالإضافة الى ما تقدم فإن لي هدفاً آخر من ترجمة هذا الكتاب وهو أن أضع بين يدي القارئ العربي ما يشير الى ما وصل اليه النحو العربي من التطور منذ قرون عديدة وهو المستوى الذي تحاول النظرية النحوية الحديثة الرائجة في الغرب حالياً أن تدركه. فالحاجة العرب أدخلوا الفكرة التحويلية التوليدية في صلب قواعد اللغة العربية ولو أنهم لم يطلقوا عليها نفس التسمية. وما قواعد الحذف والإضافة والتقديم والتأخير ومفهوم (التقدير) في الاعراب الا جزء من القواعد التحويلية الموجودة في صميم اللغة العربية. وأغلب الظن — وهذا هو اعتقادي الشخصي — أن تشومسكي أخذ مبادئ نحوه التحويلي عن العربية من خلال اللغة العبرية التي قدم رسالته لنيل درجة الماجستير فيها، ومن المعروف أن النحو العربي أثراً بالغاً في النحو العبري، الا أن هذا يبقى افتراضاً ويحتاج للبرهان وللمزيد من البحث والتقصي. لكن تشومسكي أضاف بلا شك الصبغة الرياضية على النحو وصاغه بطريقة حديثة مستفيداً من خبرته في الرياضيات والعلوم الحديثة.

وبالختام آمل أن يتيح هذا الكتاب الفرصة أمام القارئ والباحث العربي للاطلاع على فكر تشومسكي و (ثورته اللسانية) ومعرفة الخلفيات التي سبقت الضجة التي أثارت حوله في السنوات الأخيرة، والله ولي التوفيق.

د. محمد زياد كبة

١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

## ١ - المقدمة

لعب تشومسكي في ميدان اللسانيات الحديثة دورا بالغ الأهمية في تاريخ هذا العلم، فقد أحدث كتابه الأول الذي صدر عام ١٩٥٧م ثورة كبرى في دراسة اللغة دراسة علمية، وهو يتحدث الآن بثقة المتيقن عن النظرية النحوية الحديثة. ولكن وبكل الأحوال — لا يعني ذلك أن جميع المهتمين باللسانيات قد قبلوا نظرية النحو التحويلي transformational grammar التي أتى بها تشومسكي في كتابه «البنى النحوية Syntactic Structures» وبالتالي، فما زال هناك العديد من المدارس النحوية المنتشرة في أرجاء العالم دارجة على ما كانت عليه قبل ثورة تشومسكي النحوية التي تعد اليوم — سواء أكانت صحيحة أم لا — من أرسخ النظريات اللغوية وأبعدها أثراً، وما من نحوي ممن واكبوا تطور هذا العلم يستطيع أن يغفل آراء تشومسكي وتحليله اللغوي. ويبدو أنيا أن كل مدرسة في اللسانيات تحدد موقفها إزاء تشومسكي حول شتى ما طرحه من موضوعات.

ولم تكن شهرة تشومسكي ومكانته بين علماء اللغة هي التي جعلت منه واحداً من أعلام الفكر الحديث، فاللسانيات ليست سوى موضوع مغلق لا يكاد يعرفه سوى صفوة من الناس بل إن أغلبهم لم يسمع بها إلا من عهد قريب جداً لكنها انقلبت في يومنا هذا إلى واحد من فروع دوحة العلوم جدير بالبحث ليس في حد ذاته وحسب وإنما مرده بالمقام الأول إلى تشومسكي. ويقال إن عدد من استمعوا إلى محاضراته من الطلاب والأساتذة الجامعيين قد أربى على الألف، تلك المحاضرة التي ألقاها في ربيع عام ١٩٦٩م بجامعة أكسفورد والتي دارت حول «فلسفة اللغة والفكر The Philosophy of Language and Mind» (ورغم أن معظم هؤلاء لم يكونوا ليحفلوا باللسانيات لكنهم كانوا على قناعة — أو على استعداد للاقتناع — بأن موضوع تشومسكي وما يطرحه أحياناً من براهين تكنيكية، جدير بالاهتمام وما يبذل فيه من جهد فكري. وقد تولت الصحافة تغطية تلك المحاضرات على أوسع نطاق.

وقد يتساءل المتسائلون ممن لم يكونوا على دراية كافية بأعمال تشومسكي عن العلاقة التي يمكن أن تربط موضوعاً في منتهى التخصص، كالنحو التحويلي، بغيره من علوم هي أكثر شهرة وعراقة بل وأهمية كذلك كالفلسفة وعلم النفس،

مما سنجيب عنه تفصيليا في فصول هذا الكتاب، ومع ذلك، سنحاول أن نقدم اجابة عامة شاملة في هذا الجزء.

ولطالما قيل ان الانسان أكثر المخلوقات تميزا وذلك لا لكونه يمتلك القدرة على التفكير ودرجة عالية من الذكاء وحسب، بل لأنه يمتلك ميزة النطق. ولقد تساءل الفلاسفة وعلماء النفس عما اذا كان من الممكن حقا ادراك معني الفكرة ذاتها thought بمعزل عن النطق أو الكتابة. ومهما يكن نصيب هذا القول من الصحة فواضح أن للغة أهمية بالغة في كل منحي من مناحي الحياة، اذا يستحيل بدونها اقامة أى نوع من أنواع التخاطب communication باستثناء بعض الحالات النادرة القليلة. واذا سلمنا بأن اللغة ضرورية للحياة، فإن من الطبيعي أن نتساءل ما الذى تقدمه دراستها تجاه فهمنا للطبيعة الانسانية.

ولكن ما هي اللغة؟ ان هذا السؤال قد لا يخطر على بال الغالبية العظمى من الناس، فطبيعي أن ندرك ما المقصود بكلمة اللغة لأن استخدامنا اياها في الحديث اليومي يدل على أننا جميعا نفهمها فهما متشابهة. الا أن ثمة فرقا بين هذا الفهم المتمثل بالمعرفة العملية لماهية اللغة وبين فهمها بعمق كعلم ونظام له أسسه وقواعده. وكما سنلاحظ لاحقا، فإن من جملة الأهداف النظرية للسانيات الاجابة عن هذا السؤال، الأمر الذى يقدم حجة يعتمد عليها الفلاسفة وعلماء النفس في مناقشتهم العلاقة القائمة بين اللغة والفكر. ولقد عمل تشومسكي على تطوير اسلوب النحو التحويلي بهدف الحصول على وصف رياضي دقيق لأكثر المسائل اللغوية أهمية، ولعله من أهم الموضوعات في مجال البحث هذا قدرة الأطفال على استنباط أنظمة بنوية ضمن سياق لغتهم الخاصة — بما في ذلك قواعدها النحوية — وما يلتقطونه من كلمات وجل ينطق بها أهلوههم ومحيطهم والطريقة التي يستخدمون بها القواعد والنظم اللغوية نفسها في تأليف جمل جديدة لم تطرق مسامعهم من قبل.

ويقول تشومسكي في أحد منشوراته الأخيرة: ان المبادئ العامة التي تتحكم بشكل القواعد النحوية في لغة كالانكليزية أو التركية أو الصينية هي الى حد كبير مبادئ مشتركة بين جميع اللغات الانسانية. ويعتقد أيضا أن المبادئ التي تقف وراء بنية اللغة منتظمة ودقيقة الى درجة يمكن معها اعتبارها محددة بيولوجيا. وبعبارة أخرى فإن هذه المبادئ تشكل جزءا مما ندعوه الطبيعة الانسانية التي تنتقل وراثيا من الآباء الى الأبناء. واذا كانت هذه هي الحال — كما يدعي

تشومسكي — فان النحو التحويلي هو أفضل نظرية ظهرت حتى الان تهدف الى وصف اللغة الانسانية وتفسيرها تفسيراً علمياً. ومن الواضح أن امتيعاب «النحو التحويلي» ضروري لكل فيلسوف أو عالم طبيعة يرغب في ادراج مقدرة الإنسان اللغوية في دائرة أبحاثه.

وتكتسب أعمال تشومسكي أهميتها بالدرجة الأولى من أهمية اللغة في جميع أوجه النشاط الانساني، وهي أهمية لا جدال حولها، وكذلك من العلاقة التي يقال انها قائمة بين بنية اللغة من جهة وبين الخصائص أو العمليات الكامنة في العقل البشري من جهة ثانية. إلا أن اللغة ليست هي السلوك الانساني الوحيد الذي يتصف بالتعقيد، فهناك احتمال وجود أشكال أخرى من النشاط الانساني، منها مثلاً عناصر معينة مما ندعوه بالابداع الفني artistic creation يمكن ادراجها ضمن اطار من النظم الرياضية المعدة خصيصاً على نمط شبيه بالنحو التحويلي أو مرتكز عليه. ويسلم العديد من العلماء اليوم ممن يعملون في العلوم الاجتماعية والانسانية بسلامة هذا الرأي، إلا أن الصيغة التي أعطاها تشومسكي للنظرية التحويلية تعد أنموذجاً يحتذى بالنسبة لهؤلاء العلماء.

ويتضح مما تقدم أن تأثير تشومسكي يظهر الان في عدد من العلوم المختلفة. وحتى الان يبدو أن اللسانيات هي أكثر هذه العلوم تأثراً بثورة تشومسكي الذي يستمد معظم آرائه الشمولية في الفلسفة وعلم النفس من البحوث الجارية في البنية النحوية للغة الانكليزية واللغات الأخرى على حد سواء. ولهذا فإننا سنكرس اهتمامنا في هذا الكتاب لدراسة الخلفية اللغوية لفكر تشومسكي.

ولم يحظ تشومسكي بشهرته الواسعة بسبب أبحاثه في حقل اللسانيات وحدها، بل ان هذه الأبحاث وما لها من آثار في العلوم الأخرى لا تعد أساس شهرته، اذ اشتهر منذ عهد قريب بأنه أحد المعارضين البارزين للسياسة الأمريكية في فيتنام، فهو بطل اليسار الجديد، حيث رفض أن يدفع نصف الضرائب المترتبة عليه معرضاً بذلك نفسه لعقوبة السجن. كما أزر وشجع الشباب الذين رفضوا تأدية الخدمة العسكرية في فيتنام. وهكذا فان السبب الرئيسي في شهرة تشومسكي — لا سيما في الولايات المتحدة — يرجع الى كتاباته السياسية ونشاطه السياسي. صحيح أن مقالاته المطولة التي نشرها في The New York Review of Books, Ramparts, Liberation لم يقرأها سوى القليل من الناس نسياً — وقد جمعت هذه المقالات مؤخراً مع مواد أخرى ونشرت تحت عنوان «القوى الأمريكية والماترلين الجدد

American Powers and the New Mandrins الا أن موضوعها الرئيسي والمألوف قطعاً لدى الكثيرين هو استنكار الأمبريالية الأمريكية ودور المستشارين الأكاديميين في الحكومة الأمريكية ممن يعتبرون أنفسهم خبراء في مجالات تنتمي منها الخبرات العلمية في الوقت الذي يجب أن يكون فيه للأخلاق الانسانية المكانة الأولى. ولقد اقترف هؤلاء جريمة خداع الشعب فيما يتعلق بطبيعة الحرب الفيتنامية والتورط الأمريكي في كوبا وبعض القضايا الأخرى. هذا وعلى الرغم من أن آراء تشومسكي في اللغة هي محور كتابنا هذا الا أنه لزام علينا أن نؤكد أن نظريته اللغوية وفلسفته السياسية وثيقتا الصلة على عكس ما قد يتبادر الى الذهن في الوهلة الأولى. وكما سنرى في الفصل اللاحق، فإن تشومسكي كان يعارض منذ أمد طويل علم النفس المتطرف القائم على المذهب السلوكي الراديكالي radical behaviourism الذي يدعي أن جميع أشكال المعرفة والمعتقدات الانسانية وكل نماذج الفكر والنشاط التي تميز الانسان يمكن أن تفسر باعتبارها «مجموعة من العادات habits تكتسب عن طريق التأقلم conditioning ، ولا تختلف هذه العادات بنوعيتها عن العملية التي يتعلم بها الفأر في المختبر النفسي كيف يحصل على غذائه بالضغط على قضيب في القفص الذي هو بمثابة جحر له، رغم أن هذه العادات هي دون ريب أكثر تعقيداً وتفصيلاً عند الانسان. وجاء هجوم تشومسكي الأول على السلوكية المتطرفة عام ١٩٥٩ في نقد طويل موثق لكتاب «السلوك اللفظي Verbal Behaviour» لمؤلفه ف. ب. سكينر F.B. Skinner حيث قال «إن القشرة الباردة من التعبيرات العلمية والاحصاءات ما هي الا تمويه لتغطية عجزهم عن تفسير اللغة، وذلك لأنها ليست مجموعة من العادات وتختلف اختلافاً جديراً عن وسائل التخاطب عند الحيوانات». وفي الوقت الحاضر يوجه تشومسكي التهمة نفسها في كتاباته السياسية الى علماء الاجتماع والنفس وغيرهم ممن تطلب الحكومة منهم تقديم الخبرة والمشورة فيقومون بمحاولات يائسة لمحاكاة القشور السطحية للعلوم التي هي فعلاً ذات مضمون فكري ذي أهمية مهملين في محاولاتهم تلك جميع المشكلات الاساسية التي كان عليهم مجابتهها وهم ينشغلون الملاذ في التوافه الذرائعية والمنهجية.

ويعتقد تشومسكي أن الانسان يختلف عن الحيوان أو الآلة وان من الواجب احترام هذا الاختلاف سواء أكان في العلوم أم في الدولة، واعتقاده هذا هو الذي يوجه سياسته ولسانياته وفلسفته.

ان طروحات تشومسكي جد مأنوعة ولسوف تلقى استجابة هورية لدى جميع من يشاركونه ايمانه بالأخوة الانسانية وكرامة الانسان نفسه وعائلاً ما يجد أن الدفاع عن هذه القيم التقليدية متروك للعلماء الذين يصححون بعد مرحلة التدريب الأكاديمي غير مؤهلين لحوص مناقشات كهذه التي بروق للدرايين المتعصبيين. وليس من السهل أن يقول عن تشومسكي انه مجرد ليبرالي، فهو واسع الاطلاع على فلسفة العلوم، شأنه في ذلك شأن معارصيه، كما أنه متمكن من النظام الفكري والرياضي لعلوم الاجتماعية بنفس الدرجة من السهولة ولنا طبعاً ملء الحرية بتقبل آرائه أو رفضها، إلا أنه ليس بمقدورنا أن نتجاهلها وعلى كل من يرغب في متابعة هذه الآراء أو تقييمها أن يكون مستعداً لملاقاة تشومسكي على أرضه، ونقصد هنا ميدان اللسانيات أو انبحث العمى اللغوي. وكما نوها سابقاً، فان تشومسكي يعتقد بأن بنية العقل البشري هي التي تحدد بنية اللغة، وأن ميزة (العالمية) التي تتمتع بها لغة تقييم الحجة على أن هذا الجزء من الطبيعة الانسانية على الأقل مشترك بين جميع أفراد الجنس البشري بصرف النظر عن اختلاف العرق أو الطبقة الاجتماعية أو التفكير — مع تباين القدرات البدنية والشخصية

ومثل هذا الاعتقاد تقليدي تماماً (حتى أن تشومسكي نفسه — كما سرى — يربط آرائه بأراء الانلاسة العقلانيين rationalists في القرنين السابع عشر والثامن عشر) إلا أن الشيء المبتكر لديه هو الطريقة التي يعالج بها الموضوع ونوع البرهان الذي يقدمه لدعم آرائه هذا ومما يلائم مواقف تشومسكي وتأثيره ويرمر اليهما أن المعهد الذي يحرى فيه أبحاثه في بنية اللغة وخصائص العقل البشري هو معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا Massachusetts Institute of Technology الذي يعد معقلاً من معقل العلوم الحديثة إلا أن الآراء التي يعرضها في تلخيص أبحاثه هي التي تميز فروغ العلوم الانسانية في الجامعات التقليدية، لذا فان التناقض ليس سوى تناقض سطحي فأعمال تشومسكي تشير الى أن الحاجز الوهمي الذي يقوم بين العلم والعلم يمكن، بل يجب، أن يهدم.

## ٢ - اللسانيات الحديثة أهداف ومواقف

تعتبر اللسانيات بالنسبة للعديد من القراء - إن لم نقل بالنسبة للعالية العظمى منهم - مبحثاً جديداً تماماً ولهذا سوف نبدأ بشرح ما معنى مصطلح «اللسانيات» بشكل عام، ومن ثم نتقل إلى الجزء التالي لنعرض عناصر الموضوع التي تحظى بالقسط الأكبر من الأهمية في تكوين أفكار تشومسكي نفسه.

تعرف اللسانيات عموماً بأنها دراسة اللغة علمية هذا وإن لكلمة (علمية) هنا جانباً كبيراً من الأهمية، ولابد لنا من خلال مناقشتنا لأعمال تشومسكي من أن ندرك ما تحمله هذه الكلمة من مضمون ولكن يمكننا القول في هذا المجال أن الوصف العلمي هو الذي يتم بصورة منتظمة مبني على الملاحظات التي يمكن توثيقها بموضوعية وهي إطار نظرية عامة تلائم المعطيات. وغالباً ما يقال إن أصل ما يسمى باللسانيات - وباللغويات أحياناً - يرجع إلى زمن قريب، فابحث اللغوي في أوروبا وأمريكا قبل القرن التاسع عشر كان ذاتياً وغير منظم ويعتد عليه طابع التحمين ولا يعيها الآن ما إذا كان لهذا الاستشكار الشديد لماضي البحث اللغوي ما يبرره أم لا، فالمهم أن نلاحظ أن اللسانيات كما نعرفها اليوم تطورت من خلال المعارضة الواعية للمذاهب التقليدية في دراسة اللغة التي كانت سائدة في القرون الماضية ولقد كان هذا الانقسام المتعمد عن الماضي أكثر حدة ووضوحاً في أمريكا منه في أوروبا، إذ لم يُرفض النحو التقليدي في أي مكان بحماسة تشبه تلك التي رفضته بها مدرسة (بلومفيلد Bloomfield) اللغوية التي ازدهرت في الولايات المتحدة خلال السنوات ما بعد الحرب الثانية، وهي المدرسة التي تعلم فيها تشومسكي ومن ثم ناز عليها عندما حان الوقت لذلك

ولن نعرض هنا جميع خصائص «اللسانيات الحديثة» التي نجعلها متميزة عن النحو التقليدي، بل سنقتصر على تلك التي تتعلق بموضوع هذا الكتاب، ويأتي في مقدمتها ما يعتبر نتيجة مباشرة للصفة العلمية التي يحملها اللسانيات ألا وهي الاستقلالية عن العلوم الأخرى. ولقد ارتبط النحو التقليدي بالفلسفة والنقد الأدبي منذ بدء ظهوره في القرن الخامس قبل الميلاد، شأنه في ذلك شأن الكثير من عوامل الثقافة العربية، فكان النقد الأدبي آنذاك هو المسيطر تارة والتأثير الفلسفي تارة

أخرى، إلا أن كليهما كانا على وجه التقريب جبا إلى جيب في جميع العصور، وساهما في تكوين المواقف والأسس التي نساها العلماء في دراسة اللغة طيلة قرون عديدة. ومما يجدر ذكره هنا أن هذه المواقف والأسس لا تزال حتى الآن واسعة الانتشار وراسخة في ثقافتنا لدرجة أنها تعتبر من المسلمات سواء لدى علماء النحو المتمرسين أم الناس العاديين أيضا. وعندما يطالب الباحث اللغوي باستقلال موضوعه فإنما يطلب السماح له بتبني نظرة جديدة موضوعية من اللغة دون أي التزام مسبق بالأفكار التقليدية وبلون أن يتبنى وجهات نظر الفلاسفة أو النقاد أو علماء النفس أو من يمثلون العلوم الأخرى. وطبيعي ألا ينهي هذا قيام العلاقة بين اللسانيات وباقي العلوم التي تهتم باللغة، بل إن هناك في الوقت الحاضر — تقاربا كبيرا في مجالات الاهتمام بين علماء اللغة والفلاسفة وعلماء النفس كما سرى في الأجراء اللاحقة من هذا الكتاب. ولقد حدث هذا التقارب نتيجة التطوير المستقل للسانيات (لا سيما في أعمال تشومسكي) التي كانت بمثابة المحفز لاقامة التحالف بين العلوم الثلاثة.

لقد سبق لنا أن أشرنا إلى ارتباط النحو التقليدي بالأدب، إذ ثمة مجالات عنه تظهر فيها هذه العلاقة التي يرجع إلى توحه النحويين العربيين الأوائل إلى الاهتمام بالحفاظ على النصوص اليونانية وشرحها، فقد ركز الباحثون جل اهتمامهم على اللغة المكتوبة وأهملوا القوارف بين الكتابة والكلام، كما اعتبر النحويون التقليديون الكلام نسخة مشوهة عن الكتابة في الغالب، مع أنهم لم يهملوه أهمالا كاملا وعلى القيص من المعياريين فإن علماء اللغة الحديثين يأخذون بالمسلمة القائلة إن الكلام يتبوأ المكانة الأولى أما الكتابة فتحتل المكان الثاني لأنها مشتقة منه وبعبارة أخرى فإن الصوت (ولا سيما مجموعة الأصوات التي تصدر عن الجهاز الصوتي عند الإنسان) هو عبارة عن الوسيلة لتجسيد اللغة، وإن اللغات المكتوبة ما هي إلا نتيجة نقل الكلام إلى شكل منطوق، ولم تكن اللغات المعروفة يادىء دى بدء سوى كلام منطوق، بل إن ألقا من لغات العالم لم تعرف قط طريقها للتدوين، أو أنها حوت منذ هرة فريية جذا، أصف إلى ذلك إن الأطفال يتقنون الكلام قبل تعلمهم الكتابة، فهم يكتسبون اللغة تلقائيا دون أى تدرب يسما نجد أن القراءة والكتابة هما من المهارات التي تكتسب بالتعلم المرنكر على معرفة سابقة بلغة الكلام المعية. لنا يجب ألا يغيب عن أذهاننا أننا بصعة أساسية معيون بلغة الكلام مع أننا لن نتطرق إلى بحث علم الأصوات phonology في هذا الكتاب وأنا سعرض جميع المعلومات بالأسلوب الكتابي المتعارف عليه.

ويجب أن تؤكد في نفس الوقت أن تنبي مبدأ أسبقية الكلام على الكتابة لا يعني بتاتا اهمال لغة الكتابة أو الاقلال من شأنها، كما أنه لا يصح كذلك أن لغة الكتابة مأخوذة عن لغة العموم. ومما لا ريب فيه أن الشروط التي تتوفر عند استخدام لغة الكتابة تختلف عن تلك التي تحكم لغة النطق (الكلام)، إذ ليس ثمة مواجهة مباشرة بين القارئ والكاتب مما يحتم علينا أن نعبر كتابة عن المعلومات التي تنقلها عادة بواسطة اشارات اليدين أو تعابير الوجه التي ترافق الكلام وبالعناصر الأخرى التي مدعوها «التنميم» (intonation) علامات التنقيط واستخدام أنواع مختلفة من الحروف الطباعية في توكيد الكلمات الهامة لا يفي بتمثيل كل أنواع نغمات الصوت ذات المغزى الدلالي التي نجدها في الكلام. ويستتبع من ذلك أن هالك درجة من الاستقلال في لغة الكتابة.

ونجد في كثير من الحالات — كما في اللغة الانكليزية مثلا — أن شقة الخلاف بين الكلام والكتابة بالسبب للغة ذاتها قد اوجدت اتساعا بسبب جمود الوسائل الكتابية التي ظهرت منذ سنين عديدة واستمرت حتى هذا اليوم بالرغم من التحولات التي طرأت على اللفظ في بقاع عديدة من العالم.

وثمة نقطة أخرى لا بد من الإشارة إليها في هذا المجال، إذ غالبا ما يقال انه ما من عضو واحد من أعضاء الجهاز الصوتي عند الانسان يقتصر في وظيفته — ولا حتى مصعة رئيسة — على اصدار الأصوات. فالرئتان تستخدمان في التنفس، والأسنان في تقطيع الطعام ومضغه، وهكذا، وكما أن الجهاز الصوتي لا يشكل في حد ذاته نظاما فيزيولوجيا بمعنى الكلمة. ويحب ألا يغيب عن أذهاننا أن القدرة على الكلام هي ميزة الانسان وهي أساسية بالسبب له تماما مثل السير على القدمين، بل وحتى الطعام والشراب. ومهما كان مرد هذه الظاهرة في تاريخ تطور الانسان عبر العصور فانه تبقى لدينا حقيقة جوهرية ينبغي تفسيرها وهي أن جميع بي البشر يستخدمون الجهاز الفيزيولوجي ذاته في النطق. ويبدو من المعقول القول ان الانسان مؤهل وراثيا للقيام بمثل هذا النشاط. وسوف نتصح علاقة هذه النقطة بأفكار تشومسكي في الفصل القادم.

وقد انحصر اهتمام النحويين التقليديين بشكل شبه تام في دراسة اللغة الادبية الكلاسيكية وكانوا يحضرون التعبيرات العامة باعتبارها غير صحيحة، سواء في الكلام أم في الكتابة، فقد غاب عن أذهانهم أن ما يسمونه لغة أدبية هو من وجهة النظر التاريخية ليس الا لهجة محلية أو اجتماعية معينة اكتسبت مكانة مرموقة ثم

ارتبطت بالسياسية والثقافة والأدب وربما نجد أن اللغة الأدبية أعنى في المفردات من أية لهجة من اللهجات المتفرعة عنها وذلك بسبب سعة انتشارها وصحابة عدد من يستخدمونها ومدى نشاطاتهم مع أنها في جوهرها ليست أقرب إلى الصواب من تلك اللهجات. فالفرق بين اللهجة واللغة عاليا ما يبني على أسس سياسية وهكذا فإن الاختلاف بين اللغات الرومانسية والديمركية والسويدية (وتعتبر جميعها لغات مستقلة) أقل بكثير عما يحده بين العديد مما يعتبر لهجات متفرعة عن اللغة السويدية. والنقطة الهامة هنا هي أن اللهجات الإقليمية أو الاجتماعية لأية لغة من اللغات — ونقل الانكليزية مثلا — ليست أقل انتظاما من اللغة الكلاسيكية، ويجب ألا ينظر إليها على أنها صورة مشوهة لتلك اللغة. ويبدو أن هذه النقطة جذيرة بالتركيز إذ يحيل كثير من الناس نحو الاعتقاد بأن اللغة الكلاسيكية التي تدرس في المدارس هي التي بشكل موضوع الوصف العسفي أما من وجهة النظر المعوية البحتة فإن جميع اللهجات الانكليزية جذيرة بالدراسة والبحث على قدم المساواة.

لقد طُوِّر النحو التقني وفق الأسس اللاتينية واليونانية وجرى تطبيقه فيما بعد وتعديل طفيف في وصف عدد كبير من اللغات الأخرى. ولكن ثمة لغات كثيرة تختلف اختلافا شاسعا في بعض عناصرها على الأقل عن بنية اللاتينية واليونانية واللغات المألوفة الأخرى في أوروبا وآسيا ولهذا فإن من أهداف اللسانيات الحديثة إيجاد نظرية أكثر شمولاً من النظرية التقليدية بحيث تلائم وصف جميع اللغات الانسانية دون انحياز لتلك اللغات التي تشبه في تركيبها اليونانية أو اللاتينية ويجب أن نوه في المجال إلى أن اللسانيات لا تؤيد من يعتقد بوجود اختلاف جوهري بين اللغات المتحضرة واللغات البدائية، غير أن مفردات كل لغة تعكس دون شك مرافق الحياة لدى المجتمع الذي يطلق بها فأي لغة من لغات العالم الرئيسية كالانكليزية أو الفرنسية أو الروسية تصمم عددا كبيرا من الكلمات التي تدل على العلوم والتكنولوجيا الحديثة دون أن يكون هناك الكثير من الكلمات في لغة شعب متحلف — ولنقل قبيلة ما في أفريقيا أو أمريكا الجنوبية — تصعب ترجمتها إلى الانكليزية أو الفرنسية أو الروسية لأنها تتعلق بمواد أو أفعال أو حيوانات أو عادات ليست مأثورة في الثقافة العربية وهكذا لا يمكن الحكم على أية لغة بأنها فقيرة أو غنية بالمفردات بالمقارنة مع أية لغة أخرى بالمعنى المطلق. فلكل لغة ما يسد حاجتها من أحل التعبير عن الأشياء المتميزة في المجتمع الذي يطلق بها وتتضح هذه النقطة أكثر عند دراسة اللغات المتحضرة واللغات البدائية إلا أن هذه العوارق لا تريد عما يلاحظ بين أية لغتين بدائيتين أو أية لغتين متحضرتين. واللغات

المسماة بالبدائية لاتقل انتظاما عن لغات الشعوب المتقدمة كما أن بيتها لا تريد تعقيدا أو بساطة عن تلك اللغات. وهذه أيضا ناحية هامة. فكل المجتمعات الانسانية المعروفة تتكلم لغات ذات درجة واحدة من التعقيد بسييا. أما الفروق الحوية التي يحددها بين اللغات المنتشرة في أنحاء العالم فلا يمكن ربطها بالتطور الحصارى للشعوب التي تتكلم بها» كما لا يمكن اعتبارها برهانا على وجود نظرية تطور اللغة الانسانية. ان اقتصار اللغة على النحو البشرى وعدم وجود لغات أقل تحصر من غيرها أو أقرب لوسائل التحاطب عند الحيوان يعد نقطة هامة أولاها تشومسكي اهتماما خاصا في أعماله الأخيرة.

ما هي اذن خصائص اللغات الانسانية التي تميزها عن وسائل التحاطب الأخرى لدى باقي أنواع الحيوان؟ مسجيب عن هذا السؤال بمريد من التفصيل فيما بعد، إلا أن ثمة خاصيتين للغة يمكن أن نذكرهما هنا الأولى وتدعى بخاصية ثنائية البنية duality of structure حيث ان لكل لغة بحثت حتى الان (ويمكن أن يعترض وانقيس بأن هذا يطبق على اللغات التي تبحث الآن) مستويين من التركيب القواعدي فهناك المستوى الأسامي وهو ما نسميه بالمستوى النحوي syntactic وفيه تمثل اللغة بمجموعة مركبة من الواحدات units ذات الدلالة والتي نسميها بالكلمات (وهذا تجاوز لحقيقة أن الواحدات النحوية النحوي ليست في كل اللغات عبارة عن كلمات بالمعنى المؤلف بهذا المصطلح) وهناك أيضا المستوى الثانوى الذى يدعى بالمستوى الصوتي phonological وفيه تمثل الجمل بمجموعة من الواحدات ليست بدات دلالة في حد ذاتها ولكنها تعيد في تعريف الواحدات الأساسية — والواحدات الثانوية هي اللغة هي عبارة عن وحدات صوتية أو (فونيمات) phonemes اذا شئنا استخدام المصطلح العلمى. ولأحد مثلا جملة (البنم مفيد) — ولكي نسط الفكرة يعترض أن كل حرف يمثل وحدة صوتية أى (فويما واحدا) فقط — ونقول ان هذه الجملة مؤلفة من كلمتين وان أولى هاتين الواحدتين الأساسيتين محددة بمجموعة من الواحدات الثانوية (أ-ل-ع-ن-م) والثانية محددة بمجموعة من الواحدات الثانوية (م-ف-ى-د-هـ) وهكذا. ويجب أن أؤكد أن لا شيء جديد هي مبدأ ثنائية البنية كما وصفته هنا، فقد كان معروفا في النحو المعيارى من قبل، ولكن ثمة نقطة يجب أن تؤخذ بالحسبان، فعلى الرغم مما سبق ذكره من أن الواحدات الأساسية تحمل قيمة دلالية على النقيض من الواحدات الثانوية (وهذا صحيح بشكل عام على الأقل) فان الميزة الرئيسية للكلمات ليست في كونها ذات قيمة دلالية. وكما سرى

فيما بعد — فانه يمكن تحليل اللغة في المستوى النحوي بغض النظر عما اذا كانت  
الواحدات القائمة فيه ذات قيمة دلالية أم لا، فهناك بعض الكلمات على الأقل ليس  
لها معنى ككلمة (أن) في قولنا (أريد أن أكتب) .... من هنا يتعين علينا أن نتوحي  
الحرص على أن لا نصف ثنائية البنية كما أوردناها هنا من وجهة نظر العلاقة بين  
الصوت والمعنى.

وإذا سلمنا بأن لكل لغة ميرة ثنائية السية لجزل لنا أن نتوقع أن يكون وصف  
(قواعد أية لغة من اللغات) مؤلفاً من ثلاثة أجزاء متكاملة: الجزء الذي يحدد نظام  
تركيب الكلمات في الجملة ويسمى بالنحو syntax، فيفضل القواعد النحوية  
syntactic rules يمكننا أن نعتبر قولنا (سافر الوفد الى لندن) جملة صحيحة قواعدياً  
وذلك على التقيص من \* (لنلند الى الوفد سافر) (لاحظ أن النجمة تدل على أن ما  
بعدها غير صحيح نحويًا، وسوف مستخدم هذا المصطلح في سياق هذا الكتاب).  
أما ذلك الجزء من القواعد الذي يصف معاني الكلمات والجمل فيسمى بعلم  
الدلالة semantics. ويبقى الجزء الذي يعالج الجانب الصوتي والتركيبات الصوتية  
المسموح بها في اللغة ويسمى بعلم النظام الصوتي phonology<sup>(١)</sup>.

وأجد لزاماً علي أن أنه القارىء في هذه المرحلة الى وجود نوع من  
التضارب والفوضى في استخدام المصطلحات اللغوية. ففي الفقرة السابقة استخدمنا  
كلمة «القواعد grammar» بمعناها الشامل الذي يضم الجوانب النحوية والدلالية  
والصوتية معاً. وهذا هو المعنى الذي يرمي اليه تشومسكي عندما يستخدم كلمة  
«القواعد grammar» في أعماله الأخيرة. وسوف ألتزم أنا أيضاً بهذا الاستخدام في  
سياق هذا الكتاب فيما عدا أماكن معينة حيث ألفت نظر القارىء الى أنني أقصد  
المعنى الضيق للكلمة. كما أن هناك كثير من اللغويين ممن يطلقون كلمة  
«القواعد» على النحو syntax فقط ويعطونه بذلك مفهوماً محدوداً بعيداً تمييزه عن  
«الصرف» morphology. وثمة نقطة هامة ينبغي مراعاتها لدى اختيار  
المصطلحات، ولكني لا أجد حاجة للحوض في التفاصيل في هذا التعريف  
المقتضب والسطحي الى حد ما بأهداف اللسانيات الحديثة ومواقفها، لذلك سوف  
أركز جل اهتمامي في هذا الكتاب على النظرية النحوية باعتبارها الحقل الذي قدم  
فيه تشومسكي أهم مساهماته في الجانب التقني من اللسانيات.

(١) لاحظ مثلاً أن العربية لا تعبر الفاء ثلاثة سواكن دون أن تحصل بينها حركة.

أما الميزة الثانية للغات الانسانية فهي الابداع creativity (أو ميزة النهاية المفتوحة) ونقصد بهذا أن على الناطقين بأية لغة كانت أن يكونوا قادرين على تأليف وفهم عدد لا نهاية له من الجمل مما لم يطرأ أسماعهم من قبل. ويجب أن نلاحظ أيضا أن ملكة الابداع اللغوي لدى كل من ينطق بلسانه الأم هي في الحالات العادية لا إرادية ولا تحتاج الى جهد فكري — فالمتكلم لا يعتمد تطبيق سبق له سماعها. ومع ذلك فإن الجمل التي ينطق بها تكون مقبولة (بصفة عامة) لدى الآخرين الذين ينطقون بنفس اللغة ويفهمونها تماما لأنها سليمة التركيب). (ولكن يجب أن نسمح بدرجة معينة من الخطأ — كما سرى في وقت لاحق — ولهذا استخدمنا عبارة — بصفة عامة — في الجملة السابقة. إلا أن هذا لا يؤثر على المبدأ الذي هو موضع المناقشة الآن). وحسبما نعلم فإن ملكة الابداع في اللغة تقتصر على الانسان دون غيره من المخلوقات — فهي ادن وقف على النوع. أما وسائل التحاطب الموجودة لدى باقي المخلوقات فليست لها ميزة النهاية المفتوحة هذه التي رأيناها إذ أن أكثر تلك الوسائل «مغلقة» بمعنى أنها تسمح بإصدار عدد محدود صغير نسبيا من الرسائل المميزة ذات المعنى الثابت (فهي ادن أشبه بالرسائل التي نبعثها بواسطة المصطلحات البرقية الدولية من حيث أن معناها محدد سلفا). كما أن الحيوان عاجز عن تغييرها بعبء تشكيل «جمل» جديدة. صحيح أن بعض أشكال المخاطبة عند الحيوان (كرقص النحل الذي يستعمل للدلالة على جهة مصادر الرحيق وبعدها) تنطوي على امكانية تشكيل جمل جديدة بتعبير «الاشارة» sign، إلا أننا نجد في جميع الحالات صلة بين تعبيرين اثنين: الاشارة ومعناها الدلالي. وكما اكتشف ك. فون فريش K. Von Frisch في بحثه الشهير حول المصروع فإن النحلة تحدد بعد مصادر الرحيق عن الخلية بواسطة شدة الحركات التي تؤديها بجسمها ومقياس شدة الحركة هذا عرضة لتغير غير محدود وباستمرار. كما نجد هذا النوع من التغير المستمر أيضا في اللغات البشرية. فإمكان المرء مثلا أن يغير من شدة لفظه لكلمة «جدا» في قولنا (كان طالبا ذكيا جدا) ولكن هذه النقطة ليست هي المقصودة في حديثنا عن ملكة الابداع التي تتميز بها اللغات الانسانية، انها القدرة على تأليف تركيبات جديدة من وحدات منفصلة discrete units بدلا من مجرد تعبير أحد مقاييس نظام الاشارات باستمرار تبعا للتغير المستمر في المعنى الذي تنقله الرسائل messages الصادرة. وعندما يحين الوقت المناسب سنرى أن تشومسكي يعتبر ميزة الابداع في اللغة أهم ملامحها الخاصة التي تشكل مسألة مستعصية أمام تطوير نظرية نفسية حول استعمل اللغة

واكتسابها.

قدما فيما سبق علدا من المبادئ العامة والهامة التي سعتبرها من المستلمات من الآن فصاعدا حتى علما لايتمد عليها اعتمادا واصحا في الأجزاء اللاحقة. وأحد من المفيد أن أعيد تلخيصها فيما يلي :

تدعي اللسانيات الحديثة أنها أكثر شمولاً من القواعد المعيارية (التقليدية) اد أنها تفترض أن الوسيلة الطبيعية الوحيدة للتعبير عن اللغة هي الصوت (كما يصدر عن الجهاز الصوتي) وأن لغة الكتابة مشتقة derived من الكلام ومن جهة أخرى فان قواعد أية لغة تشتمل على الجوانب التالية: الجانب النحوي syntactic الجانب الدلالي semantic والجانب الصوتي phonological كما تهدف اللسانيات الحديثة الى تقديم تحليل لمقدرة الانسان على اصدار عدد لا حصر له من الحمل «الجديدة» وفهمها أيضا ويعتبر ما جاء في هذا الفصل محايدا بالنسبة للخلافات النظرية التي تفصل بين المدارس اللغوية المتعددة هي الوقت الحاضر أما الآن فستقل للحديث عن مدرسة بلومفيلد Bloomfield حيث تلقى تشومسكي تدريبه الأول في ميدان اللسانيات.

### ٣ - بلومفيلد وأتباعه

تأثرت اللسانيات في الولايات المتحدة تأثراً بالعا خلال هذا القرن بالحاجة الملحة إلى وصف أكبر عدد ممكن من مئات اللغات غير المكتوبة والمستشرة في أمريكا الشمالية. ومنذ صدور كتاب اللغات الهندية الأمريكية *A Hand Book of American Indian Languages* عام ١٩١١ وحتى عهد قريب كان كل لعوى تقريباً يبحث في إحدى اللغات الهندية الأمريكية كجزء من دراسته، وهذا ما يفسر جانباً من الميراث التي طبعت اللسانيات في أمريكا.

فقبل كل شيء أصبحت حيرة العمل في حقل اللغات المحلية المنتشرة في أمريكا الشمالية طابعاً محلياً وعميقاً على جزء كبير من النظرية اللعوية الأمريكية، ولقد كانت تلك اللغات مهددة بالانقراض السريع نظراً لأن الناطقين بها كانوا قلة محدودة من الناس. ولو لم تتم عملية دراستها وتسجيلها قبل انقراضها لكانت قد صاعت إلى الأبد، ولصاعت معها فرصة تحليلها والتعريف بها وليس من العريب في صوء هذه المعطيات أن يركز اللعويون الأمريكيون حل اهتمامهم لتطوير ما يعرف (بالمناهج الحقيقية) وهي وسائل لتدوين وتحليل اللغات التي ربما كان الباحث اللعوى يسمه جاهلاً بها، إذ لم تكن لتلك اللغات كتابة معروفة مسبقاً كما كانت هناك دون شك عوامل أخرى نذكر منها على وجه الخصوص الحماسة والموضوعية العلمية ولما كانت النظرية اللعوية بالنسبة لكثير من الباحثين الأمريكيين مجرد مصدر لأساليب وصف اللغات غير المكتوبة فإن ذلك كان سبباً حتمياً نشومسكي على توجيه الانتقاد إليها لأنها اقتصررت في اهتمامها على أساليب الاكتشاف فحسب.

أما فرانز بواس Franz Boas ١٨٥٨ - ١٩٤٢ الذي قدم لكتاب اللغات الهندية الأمريكية عام ١٩١١ وأعطى المنهج الذي تبناه بنفسه لوصف تلك اللغات وصفاً علمياً، فقد حرص إلى النتيجة القائلة أن التعبير الذي يسميه في اللغات الإنسانية إنما هو في الواقع أكبر بكثير مما يبدو ظاهرياً إذا ما بني المرء تعميماته على الوصف القواعدي للغات الأوروبية الأكثر شيوعاً. كما وجد أيضاً أن التشويه قد اعتري وصف اللغات المحلية والبادرة في أمريكا الشمالية بسبب اخفاق اللعويين في إدراك امكانية تباعد اللغات وتنوعها وبسبب محاولاتهم فرض ما هو تقليدي من

عناصر الوصف القواعدي على لغات لا تلاحظها. وقال بواس انه ما من عنصر واحد من تلك العناصر موجود بالضرورة في جميع هذه اللغات. ومن مجموعة الأمثلة التي قدمها بواس مثال من لغة الكواكيولت Kwakiolt حيث لا فرق بين صيغتي المفرد والجمع، فقولنا (هذا بيت) هي تلك اللغة لا يختلف عن قولنا (هذه بيوت)، كما أن لغة الأسكيمو لا تميز بين الماضي والمضارع، وبناء على ذلك فإن قولنا (يام الطفل) مماثل لقولنا (يام الطفل). كما أعطى بواس أمثلة ماقصة لما تقدم، فهناك هوارق بحوية في بعض اللغات الهندية لم تولها النظرية الحوية التقليدية أى اهتمام. فعص اللغات السيوية Siouan تقسم الأسماء حسب الأدوات التي ترافقها كما تميز بين أسماء الكائنات الحية التي هي في وضع الحركة وبين تلك التي هي في وضع الثبات أو طويلة القامة — وكذلك تميز بين أسماء الأشياء المرتفعة والأشياء التي تدل على صيغ الجموع ولقد استحدث بواس هذه الأمثلة لكي يبرهن على أن لكل لغة بيتها الحوية المستقلة وأن من واجب اللغوي أن يكشف عناصر الوصف الملائمة لكل لغة من اللغات، ومن هنا يمكننا أن نسمي هذه الفكرة (سيوية structural) وهذا من جملة المعاني العديدة التي اكتسبها هذا المصطلح الحديث.

ومما يجدر ذكره أن المسهج السيوي لم يكن على بواس وأتباعه في أمريكا بحسب، فقد عبّر (فيلهلم هون همبولدت Wilhelm Von Humboldt) عن نفس الآراء وكذلك الأمر بالنسبة لعدد من معاصري (بواس) من ذوي الخبرة في اللغات العربية شأنهم شأن بواس نفسه. وفي الواقع فقد كانت السيوية الصحيحة التي ألفت بين مختلف المدارس اللسانية في القرن العشرين.

ومن المتفق عليه عالمياً أن أهم علماء اللسانيات بعد بواس ممن ظهوروا في الفترة ما بين تأسيس الجمعية اللغوية Linguistic Society في أمريكا عام ١٩٢٤ وبين الحرب العالمية الثانية هما (ادوارد ساير Edward Sapir ١٨٨٤ — ١٩٣٩) و (ليونارد بلومفيلد Leonard Bloomfield ١٨٨٧ — ١٩٤٩). وقد كان هذان العالمان على طرفي نقيض سواء في التفكير أم في محالات الاهتمام والاقتناع الفلسفي وحتى في طبيعة الأعمال التي حللها كل منهما. فقد اهتم ساير بدراسة اللغات الجرمانية Germanic Philology ولكنه خصص لتأثير بواس وهو لا يزال طالباً وتحول إلى دراسة اللغات الهندية الأمريكية. وقد كان ساير مهتماً بعلم الاجتماع أيضاً بالإضافة لكونه لغوياً، شأنه في ذلك شأن بواس والعديد من علماء اللسانيات الأمريكيين حتى يومنا هذا. وقد نشر ساير العديد من المؤلفات في كلا المجالين،

الا أن نشاطه لم يقف عند حدود اللغة وعلم الاجتماع بل امتد الى الأدب والموسيقى والعن حيث نشر عددا من المقالات والدراسات النقدية (تتعلق بعدد من اللغات المختلفة) ولكنه لم يشر سوى كتاب واحد وهو عبارة عن عمل قصير سسيا يحمل عنوان اللغة *Language*. وقد ظهر هذا الكتاب عام ١٩٢١، وكان موجها الى القارئ العادى ويختلف كتاب ساير عن كتاب بلومفيلد اختلافاً شاسعاً رغم أن كليهما يحمل نفس الاسم وأن كتاب بلومفيلد نشر بعد كتاب ساير بأثني عشر عاماً.

ولقد يدل بلومفيلد ما لم يذله أحد غيره في سبيل منح اللسانيات ميرتي الاستقلال والعلمية *scientificness* (حسب تفسيره الخاص لمفهوم العلمية) — ومن خلال سعيه وراء هذا الهدف كان بلومفيلد مستعلاً لتحديد مجال الموضوع مُسْقِطاً من حسابه العديد من العناصر اللغوية التي كان من المتعذر — حسب اعتقاده — أن تعالج بالدقة المطلوبة. أما ساير فيتخذ من اللغة موقفاً أكثر إنسانية كما يستطيع المرء أن يلاحظ من اهتماماته الأخرى، فهو يعلق أهمية كبرى على دور الثقافة ويرجع كفة العقل على كفة الإرادة والعاطفة مؤكداً على ما يدعوه بالصفة العقلانية المسيطرة للغة، وعلى حقيقة أنها ذات صفة إنسانية بحتة وليست عريرية. ويُعدُّ كتاب ساير اللغة على الرغم من قصره — أكثر شمولاً وسهولة (ولو سطحية على الأقل) من كتاب بلومفيلد. فالكتاب يحتوي على حشد من التشايب والمقاربات العية. إلا أن حرص ساير على عدم اغفال أى جانب من جوانب اللغة المتعددة — ويجب أن نعترف بهذا — يعطي كثيراً من آرائه النظرية مسحة من العموص لا نجد لها في كتاب بلومفيلد. وقد استمر كتاب ساير في اجتذاب اهتمام اللغويين حتى يومنا هذا ولكننا مع ذلك لا نجد مدرسة (سايرية) على غرار المدرسة (البلومفيلدية) اللغوية في أمريكا. وليس هذا من العراية في شيء ولكننا لن نسهب في الحديث عن ساير أكثر مما أسلفنا، ويكفي أن نقول إن تشومسكي يحمل الآن الكثير من آراء ساير ومواقفه من اللغة رغم أن أفكار تشومسكي قد نمت وترعرعت ضمن مصطلح اللسانيات المستقلة الذى كان بلومفيلد أول من أرمى دعائمه. وقد كان مفهوم (العلمية) بالنسبة الى بلومفيلد — وكما كان شائعاً في ذلك الوقت — يعنى الرقص القاطع والتمتع لكل المعطيات غير المتطورة أو غير القابلة للقياس هيربائياً. ولقد تبى (ج.ب. واطس J.B. Watson) — مؤسس ما يسمى بالمنهج السلوكي في علم النفس *Psychological Behaviourism* الموقف ذاته

من أهداف العلوم ومهيجيتها. ويعتقد واطس وأتباعه أن لا حاجة لعلماء النفس لافتراض وجود العقل mind أو أى شيء آخر غير منظور لدى البحث عن تفسير النشاطات والقدرات الانسانية التي توصف عادة بأنها عقلية mental أو عقلانية rational. فسبوك أى كائن حي من الأميبا إلى الانسان يجب أن يفسر تبعاً لعوامل التأثير والاستجابة stimulus and response التي تميزها البيئة المحيطة به. وكان من المعتقد أن الكائن الحي في تلك الاستجابات يمكن اعطاؤه تفسيراً معقولاً باستخدام القوانين تعبيرية وكيميائية المألوفة وبفس الطريقة التي يمكن أن يفسر بها كيف (يتعلم) جهاز تنظيم الحرارة thermostat أن يستجيب لتغيرات الحرارة كي يقطع أو يوصل التيار الكهربائي الذي يعدى انفراد مثلاً<sup>(١)</sup> وليس الكلام سوى أحد أشكال السلوك الانساني المنظور مباشرة أو الصريح، وليس التفكير سوى كلام غير مسموع (التكلم بجهاز عصلي حفي — كما يسميه واطس). وبما أن الكلام غير المسموع يمكن أن يصبح مسموعاً اذا دعت الضرورة فإن التفكير هو من ناحية المبدأ شكل من أشكال السبوك غير المنظور

ولقد تبني بلومفيلد المذهب السلوكي صراحة عندما شرع باعداد كتابه اللغة Language واتحد منه اطاراً عاماً للوصل للوعي (كما أعلن بالصرحة نفسها عن التزامه بمبدأ العقلانية rationalism في علم النفس الذي نادى به (فوندرت Wundt) في كتابه الأسبق المدخل الى دراسة اللغة An Introduction to the Study of Language الذي نشر عام ١٩١٤. وفي الفصل الثاني من كتاب اللغة يقول بلومفيلد انه على الرغم من استطاعتنا من حيث المبدأ أن نتبأ فيما اذا كان تأثير معين سيجعل شخصاً ما على الكلام أو أن نتبأ تماماً بما سيقول الا أن تنبؤنا لا يكون صحيحاً الا اذا كنا نعرف تماماً تركيبه الجسمي في تلك اللحظة ويعرف معنى الصورة اللفوية بأنه الأحداث العملية التي تتصل بها الصورة وفي فصل آخر يعرف بلومفيلد معنى الصورة اللفوية بأنه الموقف situation الذي يجد المتكلم نفسه فيه عندما يتكلم والاستجابة التي يولدها في المستمع.

(١) اعلمى (جان مارشال John Marshall) انه ليس من الثابت ما اذا كان السلوكيون يحسنون مثل هذه النظرة المعرفه ويرى أن سبوكيه بلومفيلد كتاب أكثر ادبيكالية من معظم علماء النفس الذين يرون فيه لأنه كان متغلباً من العمليات الى السلوكية ونسبهم من الاطلاع على هذه المناقشة يمكن للفقيه أن يرجع الى ما كتبه مارشال في معرض نقده لكتاب (اسبر Esper) العقلية والموضوعية في اللغات Mentalism and Objectivism in Linguistics

ويصرب بلومفيلد مثالا على مقام بسيط ومثالي في نفس الوقت حيث تستخدم اللعبة في وجهين مختلفين: «يسمى جاك وجيل يمشيان في الطريق اذا بحيل ترى تفاحة على الشجرة، وبما أنها جائعة فإنها تطلب من جاك أن يقطعها لها، فيتسلق جاك الشجرة ويعطيها التفاحة كي تأكلها». هذه هي الطريقة المألوفة لسرد الحوادث. أما الوصف السلوكي فيختلف عن هذا إلى حد ما : (إن احساس حيل بالجوع — أى تقلص بعض عضلات معدتها واهمرار بعض العصابات الخاصة في المعدة — ثم رؤيتها التفاحة — أى أن الضوء المنعكس عن التفاحة وصل إلى عينيها — كل هذا يشكل عامل التأثير، أما الاستجابة الأكثر مباشرة لهذا التأثير فهي أن تتسلق حيل الشجرة كي تقطف التفاحة بنفسها — ولكنها عوضا عن ذلك تقوم (بإسحابة يدلية) على هيئة سلسلة من الأصوات الصادرة عن الجهاز الصوتي — وهذا يؤدي دور (التأثير السيل) بالنسبة إلى جاك ويجعله يتصرف كما لو كان هو الذي يحس بالجوع وقد رأى التفاحة) هذا التحليل السلوكي لمقام situation يترك الكثير دون تفسير — ألا أن لن نقف لمعالجة هذه القضية هنا، وعلى أية حال فإن القصة التي أوردها بلومفيلد تعطي القارئ فكرة عن كيفية استخدام اللعبة في حالات معينة كبديل لأنواع أخرى من السلوك غير الرمزي، وهذا يعني بالعرض في الوقت الحاضر.

وليس لانتزام بلومفيلد بالمذهب السلوكي أى أثر ملموس على الأسس الحوية أو الصوتية سواء في أعماله أم في أعمال أتباعه (عدا أنه دعم تطور المسهجية التجريبية *empiricist methodology* كما سرى فيما بعد). ولم يتطرق بلومفيلد نفسه إلى ذكر المذهب السلوكي إلا عند بحثه في الجواب الدلالية كما أن ما ذكره عن الموضوع لم يكن كافيا ليثير رغبة أتباعه بارساء أسس نظرية دلالية شاملة. ويعتقد بلومفيلد أن تحليل المعنى هو نقطة الصعف في الدراسة اللغوية ويقول انه سيفي كدلتك إلى أن تتقدم المعرفة الإنسانية أشواطاً بعيدة تفوق ما هي عليه الآن. ويعود اسبب هي تشاؤمه هذا إلى أن تعريف معنى الكلمات تعريفا دقيقا يقوم على افتراض مسبق بوجود وصف (عممي) كامل للأشياء المتعلقة بها كالمقام والعمليات سواء في التأثير أم في الاستجابة فهناك عدد صغير من الكلمات التي يمكن إعطاؤها تعريفا دقيقا نسبيا باستخدام المصطلحات الفنية المسمدة من مختلف العلوم (كعصم سياج أو الحيوان أو الكيمياء الخ) أما فيما يتعلق بالعابية المعصمي من الكلمات (ويصرب بلومفيلد مثالا كلمتي «الحب» و «الكراهة») فالأمر مختلف تماما. وهكذا نرى أن موقف بلومفيلد لم يكن يشجع اللغويين على دراسة المعنى مطلقا

— كما أنه لم يسهم لا هو ولا أتباعه في تطوير النظرية الدلالية أو تطبيقها. وفي الواقع فإن أتباع بلومفيلد أهملوا دراسة المعنى إهمالا كاملا طيلة ثلاثين عاما بعد نشره كتابه، وكان المعنى يعرف غالبا بأنه خارج نطاق اللسانيات البحتة.

وإذا كان موقف بلومفيلد مشبها للعزائم فيما يتعلق بعلم الدلالة فإنه لم يكن مدمرا بالنسبة لتطور الفروع الأخرى من النظرية اللغوية. كما أن بلومفيلد نفسه لم يدع أبدا من الممكن دراسة القواعد النحوية والصوتية للغة في معزل عن معاني كلماتها وجملها (رغم رغبته شبه المؤكدة بتجاهل ذلك ما أمكن). ومن مقومات التحليل النحوي والصوتي في رأيه أن يعرف ما إذا كانت جملتان متماثلتين في المعنى أم متباينتين — وكل ما يتطلبه الأمر هو تقرير جاهر وأولي عن معاني الكلمات دونما حاجة لوصف علمي كامل لها. فالاعتبارات الدلالية كانت نابعة لتعريف واحداث النحو والصوت ولم تكن داخلة ضمن تعريف المبادئ والأسس التي تحدد تركيباتها الممكنة في اللغة. فهذا الجزء من القواعد يُعتبر دراسة شكلية formal محضة ومستقلة عن علم الدلالة.

ولقد عالى أتباع بلومفيلد أكثر منه نفسه في تجاهل الجوانب الدلالية في رسم مبادئ التحليل الصوتي والنحوي. ويبلغ هذا الجهد دروته في أعمال (ريلك هاريس Zellig Harris) لاسيما في كتابه *مناهج في اللسانيات البنيوية Methods in Structural Linguistics* الذي نشر عام ١٩٥١ رغم إيجازه قبل ذلك بضع سنوات. وتعتبر أعمال هاريس من أكثر الأعمال طموحا وجدية بهدف إقامة ما دعاه تشومسكي فيما بعد بمجموعة من أساليب الاكتشاف *discovery procedures* في الوصف النحوي.

لقد كان تشومسكي أحد تلامذة هاريس ومن مساعديه ورملائه فيما بعد، كما أن ما نشره في البداية كان يماثل في جوهره أعمال هاريس. ولكن ما أن حل عام ١٩٥٧ حتى نشر تشومسكي كتابه الأول *البنى النحوية Syntactic Structures* وكان في تلك الأثناء قد تحلى عن الموقف الذي تبناه هاريس وغيره من أتباع بلومفيلد حول «أساليب الاكتشاف» إلا أنه استمر في اعتقاده بأن النظام الصوتي والنحوي في اللغة يمكن أن يوصف (بل يجب أن يوصف) على أسس تعتمد على الشكل فقط دون أية اعتبارات دلالية. فاللغة وسيلة للتعبير عن المعنى — ومن الممكن والمجيد أيضا أن يوصف هذه الوسيلة دون الاعتماد على معرفتنا بمجال استخدامها، فعلم الدلالة جزء من وصف وظيفة اللغة ولهذا فهو ثانوي وتابع للنحو

ولا يدخل في نطاق اللسانيات البحتة. ولقد راد تشومسكي من نقده لمذهب بلومفيلد في اللسانيات باصطراط كما يحلّى عن كثير من الأفكار التي كان قد نساها من قبل ومن هنا ينبغي أن نؤكد أن تشومسكي لم يتيّ آراءه الأولى وفق مدرسة بلومفيلد فحسب، بل أنه ما كان يستطيع أن يحقق ما حققه من تقدم في اللسانيات ما لم يقيم علماء أهدان مثل هاريس وغيره بتمهيد الطريق أمامه.

\_\_\_\_\_

\_\_\_\_\_

#### ٤ - أهداف النظرية اللغوية

قبل أن نتقل لاستعراض ما قدمه تشومسكي الى اللسانيات من الباحة التكميلية لا بأس من عرض الدوافع والعرضيات المسهجة التي تشكل حلقة أعماله، وسركر بالدرجة الأولى على ما تطرق اليه تشومسكي نفسه في كتابه البنى النحوية الذي نشر عام ١٩٥٧، وهو الكتاب الذي يعتبر - رغم قصره - فاتحة عصر بأكمله وكما سلاحظ فيما بعد، فان تشومسكي تبى نظرة لغوية أكثر شمولاً في أعماله اللاحقة. ويعالج الفصل السادس من البنى النحوية موضوع أهداف النظرية اللغوية وهذا ما احترته أنا موضوعاً لهذا الفصل بالذات.

وكما أسلفت فان معظم الآراء التي طرحها تشومسكي في البنى النحوية كانت مماثلة لآراء مدرسة بلومفيلد اللسانية ولا سيما ريلك هاريس. ومن الملاحظ بشكل خاص عدم وجود أية إشارة في تلك الفترة الى «العقلانية rationalism» التي طبعت أعمال تشومسكي اللاحقة. ويدل التعليق الذي كتبه حول تأثيره بالفلسفة التحريبي مثل (جودمان Goodman) و (كوين Quine) على أنه يشاركهم آراءهم إلا أن كتاب البنى النحوية يحلو من أية مناقشة لحلقات الحو الفلسفية والفلسفية. لكن ثمة نقاطاً مبرزة حتى يواكبر أعمال تشومسكي عن أعمال هاريس وغيره من اللغويين، فقد ذكرت في الفصل الأول أن تشومسكي يؤكد مبرة «الابداعية creativity» أو النهاية المفتوحة open ending في اللغات الانسانية، ويقول ان على النظرية اللغوية أن تعكس المقدرة التي يمتلكها كل الناطقين بلغة من اللغات على تكوين واستيعاب جمل لم يسمعوها من قبل مطلقاً وكما علم تشومسكي فيما بعد فان بعض العلماء الذين سبقوه بمن فيهم (فيلهلم فون همبولدت Wilhelm Von Humboldt) و (فرديناند دوسوسير Ferdinand de Saussure ١٩٥٧ - ١٩١٣) قد أكدوا على أهمية المبرة الابداعية للغة. وفي الواقع فان هذه النقطة كانت تعتبر من المسلّمات أو ربما كانت تذكر صراحة أحياناً منذ نشأة النظرية اللغوية العربية في العالم القديم، إلا أنها أهملت - ان لم نقل أنكرت تماماً - أهداف النظرية اللغوية عند بلومفيلد ويرجع السبب في هذا على ما يبدو الى أن اللغويين، شأنهم شأن العديد من المدارس اللغوية في القرن العشرين، كانوا متجهين الى الحاجة للتعمير بوصوح بين القواعد الوصفية

descriptive و بين القواعد الوصفية — prescriptive أو المعيارية normative بين وصف القواعد التي يطبقها المتكلم فعلا وبين وصف تلك القواعد التي يجب عليه — حسب رأى النحاة — أن يتبعها كي يكون كلامه صحيحا نحويا. وهناك الكثير من القواعد الوصفية التي أرمى النحويون جدورها دون أن يكون لها أساس عند المتحدثين بالانكليزية<sup>(١)</sup>. ولقد أبدى أتباع بلومفيلد وكثير من المدارس النحوية الأخرى اهتماما بالغا في تأكيد أن اللسانيات هي علم وصفي وقد اتخذوا لهم مبدأ عدم التسرع في الحكم على سلامة أية جملة من الناحية البنيوية قبل أن يثبت استعمال تلك الجملة من قبل المتحدثين باللغة المعنية ووجودها ضمن المادة الأساسية التي شكلت أسس الوصف القواعدي.

ويؤكد تشومسكي من ناحية أخرى أن الغالبية العظمى من الجمل هي أي نص مكون من جمل حذيفة، بمعنى أنها ترد مرة واحدة ومرة واحدة فقط، وأن هذا يبقى صحيحا مهما طال تسجيلها لما يطلق به المتكلم، وتتألف اللغة الانكليزية — مثلها مثل أية لغة طبيعية أخرى — من عدد لا حصر له من الجمل التي لم ولن يستعمل سوى جزء يسير منها. ويمكن أن تتركز قواعد اللغة الانكليزية على مجموعة من النصوص التي تحوي جملا موثقة فعلا، إلا أنها تصف منها — وبصورة عرضية فقط — ما يمكن اعتباره سليما من الوجهة النحوية وذلك بإسقاطه على مجموع الجمل اللامتناهية التي تشكل اللغة.

وحسب تعبير تشومسكي فإن القواعد تولد generate جميع الجمل في اللغة، ولا تميز بين ما ثبت منها فعلا وما لم يتم إثباته. (ويميز تشومسكي في كتابه البنى النحوية بين الجمل التي تولدها القواعد النحوية (اللغة) وبين عيانت من الجمل التي جرى استخدامها ضمن شروط اعتيادية (النص). وقد أطلق تشومسكي على هذا التمييز فيما بعد مصطلحي (المقدرة competence والممارسة performance). ويمثل هذا التحول في التسميات تطور فكر تشومسكي من المذهب التجريبي empiricism إلى المذهب العقلاني rationalism وهو ما سبق وأشار إليه وما سعود لمناقشة فيما بعد بالتفصيل ويؤكد تشومسكي في أعماله التي نلت البنى النحوية أن الجمل التي يطلق بها المتكلم — وهي مادح من ممارسته النحوية — قد لا تكون سليمة نحويا لأسباب عديدة لا تدخل في نطاق اللسانيات بل تتعلق بعوامل أخرى مثل ضعف الذاكرة أو عدم الانتباه، وقد تعود

(١) مثال ذلك الجمل الانكليزية ان القوم (It is me) خطأ ومساوية القوم (It is I) رغم أن الأول هو الشائع

أيضا إلى خلل في العمليات النفسية التي تتحكم بالكلام وتسيطر عليه. وإذا سلمنا بصحة هذا النقاش فإن اللغوي لا يستطيع أن يأخذ الجمل التي تصدر عن المتكلم كما هي ويعاملها على أنها جزء من (اللغة) التي تولدها القواعد النحوية، بل عليه أن يرقى بهذه الجمل إلى مرتبة المثالية وأن يجعلها أقرب إلى الكمال مستبعدا كل جملة يعتبرها المتكلم غير سليمة نحويا وذلك بفضل ما أوتي من مقدرة لغوية. ويبدو للوهلة الأولى أن تشومسكي يخلط هنا بين ما هو وصفي وما هو وضعي، الأمر الذي كان شائعا جدا في النحو المعيل. لكن الحق غير ذلك إذ إن من المتعذر جدا الدفاع عن الرأي القائل إن كل ما ينطق به المتكلم سليم لمجرد أنه جرى النطق به فعلا، مع أن اللغويين من المدرسة التجريبية يصرون على اتخاذ هذا الموقف. ومن هنا نتبين أن تشومسكي محق في مطالبته بمنح اللسانيات باعتبارها علما قائما بذاته — الحق باستبعاد بعض (المعلومات الخلم) كما هي الحال في العلوم الأخرى المألوفة. ولا بد بالطبع من وجود بعض المشكلات الأساسية، نظرية كانت أم عملية، تتعلق بتعريف ما هو خارج عن جوهر اللسانيات. وقد تكون عملية تشذيب (المعلومات الخلم) للوصول بها إلى مرتبة المثالية التي يطالب بها تشومسكي تميل نحو إدخال بعض الاعتبارات التقليدية التي كانت في الأساس مدعاة انتقاد للنحو المعيل. إلا أن هذه النقطة لا تؤثر في المبدأ بشكل علم.

أما النقطة الثانية التي تتميز بها أعمال تشومسكي الجديدة وموقفه من أهداف اللسانيات الحديثة فتتعلق بالدور الذي يوكله إلى ما يسميه بالحدس intuition أو المقدرة على الحكم اللغوي عند المتكلم. ففي البنى النحوية يقول تشومسكي إن الجملة التي تولدها القواعد النحوية يجب أن تحظى بالقبول لدى المتكلم، كما أنه يعتبر قدرة ما طوره من أشكال النحو على تفسير الحدس اللغوي عند المتكلم نقطة إيجابية تتناول التمييز بين مجموعة من الجمل المترادفة في المعنى أو الجمل ذات اللبس اللغوي ambiguous أي الجمل التي تحمل أكثر من تفسير واحد الخ. ولقد قدم تشومسكي الحدس اللغوي لدى المتكلم على أنه برهان مستقل، وقال إن تفسيره يعد أمرا ثانويا بالنسبة لتوليد الجمل في اللغة. أما في أعماله التي تلت فقد اعتبر تشومسكي تلك المقولة — أي الحدس — جزءا من المعطيات التي ينبغي على القواعد تفسيرها، زد على ذلك أن تشومسكي اعتمد على صحة الحدس أكثر من اعتماده عليه عندما كان مهتما بالحاجة للتحقق منه بواسطة الأساليب الإجرائية operational المرضية.

رأيت في الفصل السابق أن السياسات عند البلومفيلديس كانت ذات معنى  
 أسلوبى، فقد أعيدت صياغة المسائل المتعلقة بالنظرية ذاتها على أنها مسائل منهجية  
 (كيف يتسنى لنا تحليل لغة من الناحية العملية؟) وقد كان من المعتقد بوجه عام  
 أن من الممكن التوصل إلى وسائل معينة إذا ما طبقت على لغة مجهولة (أو ما يُعتبر  
 بمثابة لغة مجهولة بالنسبة للباحث اللغوى) أدت بالنتيجة إلى تحليل قواعدى  
 صحيح لذلك لغة التي كانت الموضوع المحلّ لأموحا منها. ومن النقاط الهامة  
 التي عرّضها تشومسكي في البنى النحوية أن هذا الافتراض غير ضرورى مطلقا بل  
 أنه في الواقع لا يحتمل من الأصرار ومن هنا يسعى عينا ألا سطر إلى النظرية اللغوية  
 على أنها كتاب يجمع عددا من الأساليب المفيدة، كما يجب ألا سطر منها أن  
 تعصبا الأساليب ميكانيكية للارمى لاكتشاف سحر، فالأسلوب الذى يتبعه  
 الباحث اللغوى بهدف التوصل إلى اختيار نموذج معين من التحليل بدلا عن  
 أنموذج آخر يتضمن الاعتماد على الحدس والتحمين اللغوى وجميع أنواع  
 الملاحظات المنهجية الحرة والاعتماد على الخبرة السابقة مع فائهم أن يصل  
 إلى نتيجة وشررها دون الرجوع إلى الأساليب التي استخدمت في التوصل إليها ولا  
 يسعى هذا بالضرورة أن لا جدوى من محاولة التوصل إلى أساليب محددة توجيهية  
 من أجل وصف اللغة، ولكن كما يقال فإن عبء في السائح وما كان بإمكاننا أن  
 نتأكد من برهان نظرية رياضية دون الرجوع إلى تعميمات متوسطة التي أدت إلى  
 النتيجة النهائية، كذلك نحال في التحليل اللغوى، حيث يقول تشومسكي بـ هذه  
 نقطة تبقى انقبول المورى في العلوم الفيزيائية وليس من حاجة بالسياسات كي  
 تحدد آفاقا أبعد من آفاق تلك العلوم خاصة وأن ليس ثمة لغوى واحد استطاع أن  
 يتوصل إلى أية أساليب مرضية للاكتشاف

من هنا نشير أن على النظرية اللغوية أن تبحث عن مسوعات للقواعد التي  
 تقدمها ويناقش تشومسكي حتماً تشكيل مجموعة من المعايير يمكن على  
 صحتها أن في مدى سلامة صيغة نحوية معينة وتعصبها على سواها من الصيغ  
 بهدف وصف المعطيات اللغوية ويعتقد تشومسكي أن هذا بهدف من أهداف  
 نظرية اللغوية في حد ذاته — وهو أسلوب نتفاء نحو ما دون غيره من صفوف  
 النحو الموفرة من أجل لغة معينة — يعتبر طموحاً مفرطاً وأكثر ما نستطيع أن  
 نتطر من انظرية اللغوية هو أن نعطي معياراً للتقييم يساعدنا في اختيار أحد أشكال  
 النحو الموفرة ونعارة أخرى، فإنه لا يمكن أن نأمل في التوصل إلى حكم فصل

بشأن سلامة وصف معين للمعطيات اللغوية بالمعنى المطلق، وكل ما يمكننا قوله هو أن ذلك الوصف هو أقرب إلى الصواب من وصف آخر لنفس المعطيات.

إن تمييز تشومسكي بين أساليب اتخاذ القرار decision procedures وأساليب التقييم evaluation procedures أدى في كثير من الأحيان إلى سوء الفهم والجدال. وعلى أية حال ليس ثمة فيريائي واحد يقول إن نظرية أمشتاين النسبية مثلا هي أفضل تفسير ممكن للمعطيات التي تعالجها، ولكنها أفضل من النظرية البديلة القائمة على هيرياء بيوتن التي حلت النسبية محلها. ومرة أخرى تتساءل لماذا نتطلع للسانيات إلى آفاق أعلى من آفاق العلوم الأخرى؟ ويقال أحيانا إن الأهداف التي رسمها تشومسكي للنظرية اللغوية ضمن إطار مقارنة صور النحو البديلة تحفي وراءها حقيقة هامة وهي أن في العالم كثير من اللغات ليس لها نحو مكتوب ولو بصورة جزئية، وإن ما من لغة من لغات العالم لها قواعد نحوية قريبة من الكمال. هذه هي الحقيقة فعلا إلا أن ذلك لا يحملنا بالنتيجة على الاعتقاد بأنه من السابق لأوانه أن نتحدث عن المقارنة بين صفوف النحو المختلفة إن بناء مجموعة من القواعد النحوية يحتم على اللغوي أن يتخذ قرارات معينة إزاء اختيار الطريقة الأمثل لمعالجة المعطيات المتوفرة لديه. ويبغي على الباحث على أية حال أن يعرض مقارنة لبدائل (سواء تلميحا أو تصريحاً) حتى ولو كانت القواعد لا تتناول سوى جزء صغير من تلك المعطيات. ويقول تشومسكي إن من واجب النظرية اللغوية أن توضح البدائل وأن تحدد المبادئ العامة للاختيار بينها.

وثمة نقطة هامة أخرى، فعلى الرغم من أن تشومسكي يطالب النظرية اللغوية بأن تبحث عن هدف أكثر تواضعا بعد أن تتخلي عن سعي مدرسة بلومفيلد وراء أساليب الاكتشاف — فإن هناك ما يحمل على الاعتقاد بأن طروحات تشومسكي تعرف في طموحها طروحات من سبقوه. فهي مقالة له بعنوان نظم التحليل اللغوي Systems of Syntactic Analysis وقبل صدور كتابه البنى النحوية يصعب سوات، حاول تشومسكي أن يرسم طريق التحليل اللغوي الذي تحدث عنه هاريس في كتابه مناهج في اللغويات البنيوية، وذلك وفق أسلوب رياضي دقيق ومن خلال خبرته ودراسته للمقترحات الدقيقة الأخرى التي تهدف إلى تطوير النظرية اللغوية، كان تشومسكي مقتنعا بأن الأعمال موضع المناقشة لم تقدم في الواقع سوى مجموعة من المعايير المستعملة في تقييم النحو رغم اهتمامها ظاهريا بخصائص أساليب الاكتشاف إن ما ابتكره تشومسكي في اللسانيات يتمثل في الدقة الرياضية

المتناهية التي توحاها في صياغة خصائص النظم البديلة في الوصف النحوي، وهذا ما سيكون محور نقاشنا في الفصول اللاحقة، إلا أننا سنتطرق هنا لبعض الملامح العامة.

يعرف تشومسكي النحو في بداية كتابه البنى النحوية بأنه جهاز من نوع خاص مصمم لإنتاج الجمل في اللغة. وقد حملت تعبيرات تشومسكي مثل (جهاز) و (إنتاج) في هذا السياق الكثير من القراء على الاعتقاد خطأ بأنه ينظر إلى النحو باعتباره أحد النماذج الميكانيكية أو الالكترونية - أي كأداة معدنية أخرى - تحاكي سلوك المتكلم عند نطقه بجملته ما. لذا يجب أن نؤكد أن تشومسكي استخدم هذه الكلمات لأن الفرع الرياضي الذي اعتمد عليه في وضع أسس النحو الذي قلناه يتضمن مثل هذه الكلمات وفق أسلوب مجرد تماماً دون تحديد أية خصائص فيزيائية لأي أنموذج فعلي يستطيع أن يجسد المعنى المجرد لكلمة (جهاز). وسقوم بتوضيح هذه النقطة أكثر في الفصل التالي.

ومن سوء الحظ أن تشومسكي استخدم كلمة (ينتج) produce في النص الذي أوردناه آنفاً مما يحمل على الاعتقاد دون شك تقريباً بأن بنية اللغة النحوية توصف من وجهة نظر المتكلم وليس المستمع. أي أن النحو يصف ما (يُرسَل) وليس ما (يُستَقْبَل) من الكلام. ويستطيع تفسير هذا - كما سرى فيما بعد - على أن النحو الذي صاغه تشومسكي ينتج حملاً بسيطاً تطبيق سلسلة من القواعد. إلا أن تشومسكي يحذر دائماً من معية فهم (إنتاج) الجمل في إطار النحو علي أنه نفسه (إنتاج) الجمل من قبل المتكلم، إذ يتوجب على النحو أن يكون محايداً بين الإرسال والاستقبال، وهو يعبر كليهما إلى حد ما دون الانحياز لأي منهما. ولا يستخدم تشومسكي عادة كلمة (إنتاج) النحو للجمل، بل أنه يلجأ غالباً لاستخدام كلمة (توليد generate) بدلا عنها وهو المصطلح الذي سبق واستخدمناه في هذا الفصل. ولعلنا تساءل عن المقصود بكلمة (توليد) في هذا السياق فنقول إننا رأينا سابقاً أن (النحو المولد generative grammar) هو ذلك الذي يسقط أية مجموعة معطاة من الجمل على مجموعة أكبر قد تكون لا متناهية في عددها تمثل اللغة موضع الوصف، وكيف أن هذه الميزة هي التي تعكس الجانب الإبداعي من اللغات الإنسانية. إلا أن معنى (مولد) يختلف عند تشومسكي اختلافاً لا يقل أهمية - إن لم نقل يزيد في أهميته - عن المعنى الشائع للكلمة. فكلمة (المولد) عند تشومسكي تتضمن معنى (الواضح) مما يشير إلى أن القواعد النحوية والشروط التي

يجب أن نعمل من خلالها يسعى أن تكون دقيقة التحديد واصحة المعالم. ويمكننا الاستعانة بمثال من الرياضيات لكي نقرر المعصود بكلمة (المولد) — نظرا لأن تشومسكي نفسه استعار الكلمة من مفهوم التوليد في الرياضيات).

ولنأخذ العلاقة الجبرية الآتية -

$$٢س + ٣ع - ص$$

فإذا علمنا أن المتحولات س، ع، ص بأحد قيمها أعدادا صحيحة فإن العلاقة المذكورة تولد (وفق العمليات الحسابية العادية) عددا لا حصر له من القيم الناتجة. فإذا اعتبرنا مثلا أن  $س = ٣$ ،  $ع = ٢$ ،  $ص = ٥$  كانت النتيجة (٧). وإذا اعتبرنا  $س = ١$ ،  $ع = ٣$ ،  $ص = ٢١$  كانت النتيجة (١٠) وهكذا. من هنا نكتب أن العددين (٧) و (١٠) الح هما ص من القيم التي تولدها العلاقة المذكورة. فإذا ما طبق شخص آخر القواعد الحسابية هذه وحصل على نتيجة معاكسة فإننا نقول أنه ارتكب خطأ حسابيا ولا نقول أن القواعد ناقصة ونمسح المحال للشك في كيبه تطبيقها. ويشبه تشومسكي القواعد النحوية بالقواعد والقوانين الحسابية إذ يتحتم عليها أن تكون دقيقة التحديد (أي الصياغة إذا شئنا استخدام التعبير الفني) شأنها شأن القواعد الحسابية وإذا انتقلنا إلى مطابقة القواعد النحوية بالمقدرة اللغوية عند المتكلم — كما يعمل تشومسكي في أعماله الأخيرة — أمكنا تفسير سقوط بعض الجمل الحاطة أحيانا من الوجهة القواعدية وعجز المسموع عن تحليل بعض الجمل بحويا بعض الطريقة التي يمكنها أن يفسر الفوارق التي قد نحصل عليها عند حل أية علاقة رياضية، فنقول أن أسباب هذه الأخطاء تعود إلى الممارسة اللغوية أو إلى تطبيق المقدرة تطبيقا عمليا

ويسعى على النحو — في اعتقاد تشومسكي — أن يكون قادرا على توليد جميع الجمل في اللغة وجميعها فقط. وإذا عجب القارئ من استخدام كلمة (فقط) — التي هي مجرد مثال بسيط عن مدى الدقة التي تتطلبها صياغة النحو — ما عيه إلا أن يتذكر أننا بصياغة النحو بحيث يولد كل تركيب ممكن من الكلمات الانكليزية نستطيع أن نصمم توليد جميع الجمل في اللغة إلا أن معظم التركيبات التي قد تولدها الكلمات لا يمكن أن تكون جملا، ومن هنا تكتسب كلمة (فقط) أهميتها ومعناها

ويبدو أن تحقيق هذا الهدف الذي حددته تشومسكي لنحو — أي توليد جميع الجمل — وجميعها فقط — في اللغة الانكليزية أو في أية لغة أخرى أمر مبالغ

في الطموح الى حد الاستحالة وعلينا أن نذكر أن هذا الهدف يعتبر أمودجا مثالي وهو يبقى رغم استحالة تحقيقه غاية يسعى النحويون الى الوصول اليها في أية لغة من اللغات، ومن الممكن أن يفصل نوعا معينا من النحو على غيره من الأنواع قياسا الى مدى قربه من ذلك الأمودج المثالي

وأحد نواياي أن أؤكد - رغم ما يبدو في الأمر من تناقص - أن سيا رأيي تشومسكي الذي ينادي بتوحيد جميع الجمل في اللغة وجميعها فقط - لا يلزمنا بقول العبارة التي تقول أن الفرق بين ما هو صحيح نحويا وبين ما هو خطأ هو فرق واضح، أي أننا لا نستطيع دوما أن نحكم على سلسلة ما من الكلمات ونقف حائرين أمام السماح للنحو بتوليدها أم لا ويشير تشومسكي في البنى النحوية الى أنه من الأمور البديهية في فلسفة العلوم أنه إذا صيغت نظرية ما بحيث تشمل الحالات الواضحة فإن النظرية نفسها يمكن أن تطبق في معالجة الحالات غير الواضحة لذلك فإنه ينادي بتطبيق نفس المبدأ على انسانيات باعتبار أن النحو عند تشومسكي هو نظرية علمية .

بعد حصرنا اهتمامنا خلال الجزء الأعظم من هذا الفصل في آراء تشومسكي الأولية حول أهداف انسانيات ومهجه ونقد ذكرت أن تشومسكي كان لا يرون يدور في فلك المدرسة النوميلاية عندما نشر كتابه البنى النحوية فيما عدا تأكيده انحاز الابداعي للغة وقت ان أهم جزء من أعمال تشومسكي الاولي وأكثرها ابتكارا يكمن في صياغته للنظم المختلفة في (النحو المولد Generative Grammar). وسوف نكرس الفصول الثلاثة التالية لشرح هذه لموضوع، ثم نتابع مناقشة أعماله لتانية والمتعلقة بفلسفة اللغة وعلاقتها بعلم النفس

د) سأعتمد مثالا بسيطاً غير اعتبه تشومسكي ويشرح الجملة الانكليزية التالية

The house will have been being built

هذه هي توف الذي يترجم فيه كثير من المتحدثين بالانكليزية هذه الجملة قال عدد من منهم بيقول كأنه جملة عادية واما أن حكم المتحدثين نفس اللغة لا يختلف اختلافا جوهريا باختلاف لهجاتهم فأننا نستطيع أن نسميها وضع الجملة المتأخرة بالنسبة للمتحدثين بالانكليزية هو غير مستعمل على البعض من الجمل التي لا جدال حولها مثل

The house will have been built. The house is being built. They will have been building the house. They will have built the house. \* The house can will be built

The house will have been being built

وهنا ب لا يعرف من هو إذا كان الجملة

صحيحة نحوي أم لا فأننا نستطيع أن نصيغ القول عند النحويين بحيث تشمل تعالاب المعبونه بون جدار بون بون بون

The house will have been being built

كانت القول عند هذه تشمل ام ستبعد جملة مثل

و بعد ان القول الانكليزية في الواقع نجر بونيد مثل هذه الجملة وباء على ذلك فهي صحيحة نحوي حسب ما عد انهي لنحوي

## ٥ - النحو التوليدي - أنموذج بسيط

عندما نعرض الجوانب التكوينية من عمل تشومسكي سوف نتوحي البعد عن الشكليات كما أننا لن نقتصر في القارىء أي تدريب مسبق في ميدان لرياضيات ولا حتى أية مهارة خاصة، بل سقدم عددا كافيا من المصطلحات والمفاهيم كي يأخذ القارىء فكرة عن ماهية النحو التوليدي وساعده في فهم مدلوله وأجد راما على أن أنه بأن معالجة تشومسكي للنحو التوليدي في كتابه *البنى النحوية* وفي معظم أعماله إنما هي معالجة بعيدة عن الشكليات مع أنها تركز إلى بحث طويل معرق في التفصيل قام به في السنين التي سقت نشر الكتاب المذكور والجدير بالذكر أن معظم هذه الأعمال لم نشر بشكل كامل مع أنها وصفت في مقالة مطبوعة عام ١٩٥٥ بأنها (التركيب المنطقي للنظرية اللغوية) ووضع لخدمته المهتمين من العلماء والكتاب الجامعية

وهي هذا الفصل سعرض نظاما شكليا formal بسيطاً إلى أبعد الحدود، وهو أن نمدح ثلاثة وصفت لوصف اللغة كما عرضها تشومسكي في *البنى النحوية* وفي أماكن أخرى، وهو النظام الذي ما لبث أن ثبت قصوره بالنسبة لتحليل اللغة الانكليزية واللغات الطبيعية الأخرى وسقدم في ابداءة عددا من المصطلحات والمفاهيم التي سيحتاجها القارىء، وليس هذا فحسب، بل وفي مناقشة المادح النحوية الأكثر تعقيدا مما سعالحة في الفصلين التاليين ومن خلال الفصول الثلاثة هد سقتصر في القارىء معرفه نظرية بعض الحمل الانكليزية على الأقل التي رعت في التسليم بأنها صحيحة التركيب (grammatical) وبعض السلاسل من الكلمات التي رعت في نصيغها على أنها خاطئة - أي غير نحوية - (ungrammatical) أما كيف توصلنا إلى هذه المعرفة وكيف تمكنا من وضعها موضع الاختبار فهو أمر في منتهى الأهمية مع أنه لا يصوى تحت لواء صياغة بوصف نحوي grammatical description الذي يولييه الاهتمام جانباً

ولعل من الأفضل أن تبدأ بتعريف اللغة باعتبارها المادة موضع الوصف بالنسبة لى نحو معين فنقول إنها «مجموعة كامل الجمل التي يولدها ذلك النحو» ومجموعة الحمل هي من حيث المبدأ أما محدودة العدد أو لامهية في عددها. إلا أن لغة الانكليزية (وحسبنا نعم فإن ذلك يطبق على جميع اللغات الطبيعية الأخرى) تضم عددا لا حصر به من الحمل نظراً لاحتوائها على جمل وتعبيرات

يمكن توسيعها بغير حدود ومع ذلك فإنها تبقى مقولة باعتبارها مأثوفة لدى امتكلم ومن الأمثلة الواضحة قولنا : « هذا هو الثري الذي تروح الفتاة التي . » وكل ما يمكن دحاله من نعوت كي يحل محل النقاط في قولنا . « انفعه الكيرة سوداء ذات ابروايا الثلاث » . اذ يمكننا ان نطيل مثل تلك العبارة الى المدى الذى نريد ولكن من الواضح ان هناك قيودا مفروضة على طول أية جملة انكليزية سواء أكانت قد استعملت من قبل فعلا ام كانت سستعمل في المستقبل والمهم في الموضوع عدم وجود حدود معينة طول الجملة الانكليزية ولذلك عيبا ان نقبل بأن عدد الجمل انسلمة نحويا في أية لغة من اللغات هو (من الناحية النظرية) غير محدود، وأن ما هو محدود عدديا يتمثل في المفردات الانكليزية فقط ومنه لاشك فيه أن هناك تفاوتاً في عدد المفردات التي يعرفها كل متكلم على حده، كما أن هناك اختلاف بين المفردات النشطة (active) والمفردات السلبية (passive) أي بين الكلمات التي يعرفها ويستعملها متكلم وبين تلك التي هو على معرفة بها ويفهمها عندما يستعملها الآخرون وفي الواقع فإن كلا المجموعتين نشطة والسلبية ليس محددة بالنسبة لمتكلم ولو نقرر رسمية محدوده نسباً، ومع ذلك فمن تأخذ هذه بحقيقته بعين الاعتبار في معرض مناقشة النحو مفترصين — بهدف البسيط — أن المفردات في أية لغة واضحة ثابتة وبالضبط محدودة أيضاً.

وسنقتصر كذلك أن عدد الخطوط البنية التي لها علاقة بتوليد الجمل ثابت كذلك، إذ ليس ثمة ما يحمل على الاعتقاد باستحالة هذا الافتراض فإن لم تكن لخطوط ثابتة العدد فإن هذا يعني استحالة توليد الجمل بواسطة مجموعة محددة من القواعد وإذا أردنا أن يحتوى النحو على مجموعة محددة من القواعد طبق على عدد ثابت من المفردات وأن يكون قادر على توليد عدد غير محدود من الجمل فإننا نبيح تقسيم من هذه القواعد على الأقل أن يكون قابلاً لتطبيق أكثر من مرة واحدة خلال عملية توليد الجملة نفسها وتدعى مثل هذه القواعد وما تولده من تراكيب بالقواعد مكرره لتطبيق (recursive) ومره أخرى ليس هناك ما يمنع من الاعتقاد بأن من واجب القواعد الانكليزية أن تتضمن عدداً معيناً من مثل هذه القواعد، ومن سديهي أننا ناطاله الجملة « هذا هو الثري الذي تروح الفتاة » باضافة « نبي نحجب بالامتحان » اما نصيف بركيبا يشبه « الذي تروح الفتاة » الى الجملة الأصلية.

وكما رأينا في الفصل الثاني، فإننا نستطيع أن نطرح الى جملة على مستويين اثنين المستوى النحوي syntactic الذى يظهر كسلسلة من الكلمات، ومستوى

النظام الصوتي phonological والذي يظهر كسلسلة من العوئيمات phonemes أى وحدات الصوت. ومن الممكن من حيث المبدأ أن نعتبر السية النحوية لأية جملة مستقلة كلياً أو جزئياً عن ترتيب الكلمات بالسية لبعضها بعضاً، وقد تم وصف بعض اللغات ذات النظام الحر free word-order في ترتيب الكلمات من وجهة النظر تلك. على أية حال سوف نسلّم برأي تشومسكي بأن سلسلتين من الكلمات تختلف أحدهما عن الأخرى (بشرط صحة تركيب كل منهما) تعتبران جملتين مختلفتين وتبعاً لهذا التعريف فإن قولنا «الكلب عض الرجل» و «الرجل عض الكلب» جملتان مختلفتان، وكذلك الأمر فإن الجملتين «حطرت لي حاطره وأنا في طريقي إلى المنزل» و «وأنا في طريقي إلى المنزل حطرت لي حاطرة» هما جملتان مختلفتان كذلك. وليس للكلمات باعتبارها أشكالاً صوتية phonological structures أى اعتبار في التركيب النحوي الخالص ومن الممكن أن يكون مفردات اللغة في قائمة ويخصص رقماً لكل كلمة، ثم نكتب أرقام الكلمات بدلاً من الكلمات نفسها (مع الاحتفاظ بالأبجدى النحوي).<sup>(١)</sup> ولكن من المتعارف عليه أن مثل الكلمات بسلسلة من القويمات أو (الحروف) حتى على المستوى النحوي. وسوف تتبع هذا العرف هنا أيضاً فنورد الكلمات والأنواع النحوية syntactic categories في كتابتها المألوفة. ولكن ينبغي ألا يعيب عن ذهن القارئ أن الكتابة واللفظ هما من حيث المبدأ مستقلان عن وطبيعتهما كوحدات نحوية<sup>(٢)</sup>.

ومما لا شك فيه بوجه عام أن هالك كلمات مختلفة تحمل نفس اللفظ ولها نفس الشكل المكتوب. وبالمقابل هالك طرق مختلفة لكتابة الكلمة الواحد أو بطقها. وسعرض فيما يلي للعرف بين العاصر «النهائية terminal» والعاصر المساعد auxiliary. فالعاصر النهائية هي التي لها وجود حقيقي في الجملة: الكلمات على المستوى النحوي، والقويمات على المستوى الصوتي. أما المصطلحات والرموز الأخرى المستعملة في صياغة القواعد النحوية فيطلق عليها اسم «العاصر المساعد». ويجب أن نلاحظ بشكل خاص أن المصطلحات والرموز المستعملة للدلالة على أقسام الكلام parts of speech هي عاصر مساعدة في النحو التوليدي الذي سنشرحه فيما يلي، ومنستعمل مصطلحات مألوفة

(١) مثلاً في جملة «محمد سافر غداً» نطلى الكلمة «محمد» الرقم (٥) و «سافر» الرقم (٣) و «غداً» الرقم (١) وبذلك يمكن كتابة الجملة نفسها هكذا (٥، ٣، ١) أى «محمد سافر غداً»

نطبقها على أقسام الكلام كما يفعل تشومسكي وسوردها في شكلها المختصر:

ح = جملة

فع = فعل

س = اسم

أما العناصر المساعدة فسوردها فيما بعد ويجب أن يؤكد في هذا المجال أن كل كلمة في النحو اتوليدى تنسب إلى قسم معين من أقسام الكلام — كأن تكون من الأسماء (اس) مثلاً وهذا ما يعني توصيفه بجلاء من خلال القواعد النحوية من النوع الذى يقترحه تشومسكي الأمر الذى يعنى في النهاية أن كل كلمة من المفردات اللغوية يجب أن تدرج تحت القسم أو الأقسام النحوية التي تنسب الكلمة إليها. إذ ليس من الكافي أن يقدم مجموعة من التعريفات كقولنا: «إن الاسم هو اسم إنسان أو حيوان أو نبات أو شيء» ونترك للقارئ تقرير ما إذا كانت كلمة ما تحقق هذا التعريف أم لا<sup>(١)</sup>

ويطلق تشومسكي اسم «نحو الموقع المحدودة Finite state grammar» على أبسط أنواع النحو التي تحدث عنها والتي تستطيع توليد عدد لا حصر له من الجمل من خلال عدد ثابت من القواعد المسكرة بعد تطبيقها على مفردات المحدودة ويتركز هذا النحو على أن الجملة تتولد عن طريق سلسلة من عمليات انتقاء تتم من اليسار إلى اليمين<sup>(٢)</sup>. أى أنه بعد انتقاء الكلمة الصالحة لأن تكون العنصر الأول في جملة يسار من الجملة نجد أن كل انتقاء لاحق يتم بناء على ما سبقه من العناصر

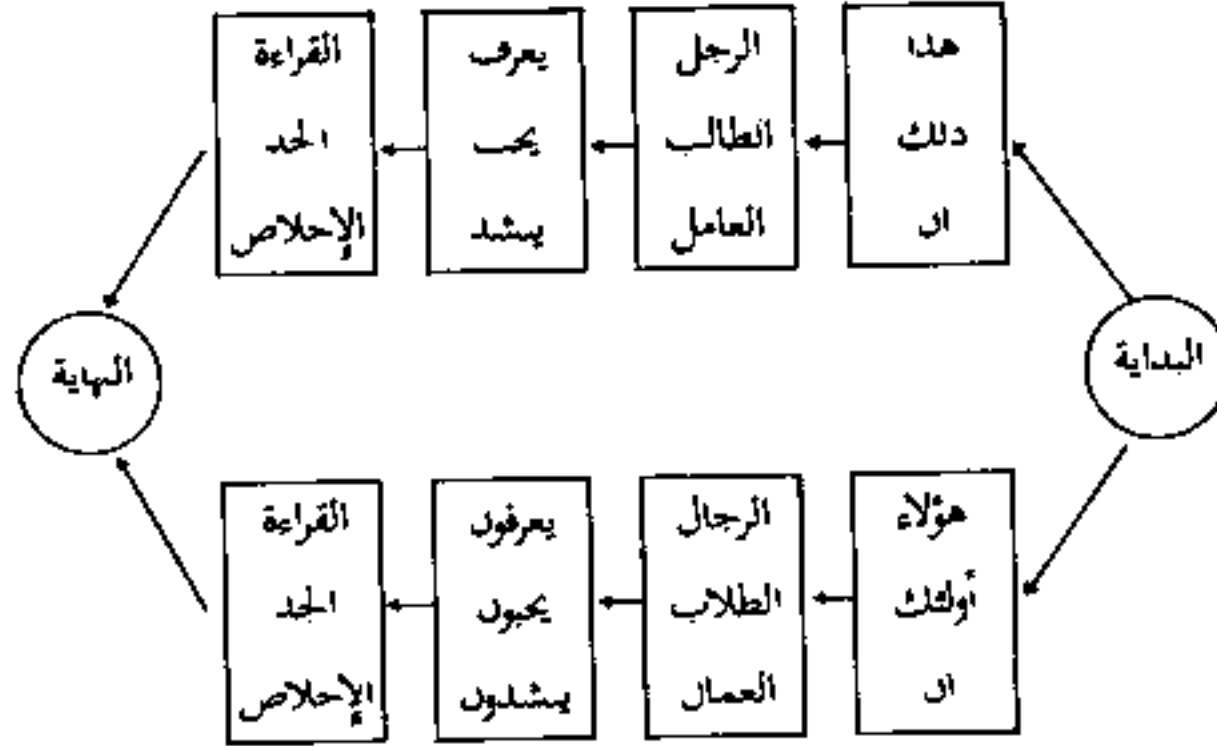
وسعاً لهذا الصنف من النحو فإن الجملة «هذا رجل شترى بعض الخبز»<sup>(٣)</sup> هي جملة مقبولة كالمقبولة. أما لو اختار المنكسر (هؤلاء) أو (أولئك) لتكون في الموقع لأول من الجملة لكان عليه أن يتبعها باسم في صيغة الجمع مثل (رجال)

(١) كلمة (سم) هنا هي - جملة للكلمات مختلفتين في الإنكليزية (name) and (noun) (المترجم).

(٢) هذا طبع عكس ما نجده في اللغة العربية حيث يتم الانتقاء من اليمين إلى اليسار والمعصوم: هذا هو الوجه المتبع عند الكتابة - فالعربية يكتب من اليمين إلى اليسار - فالإنكليزية فيالعكس (المترجم).

(٣) ونعني في الإنكليزية This man has bought some bread

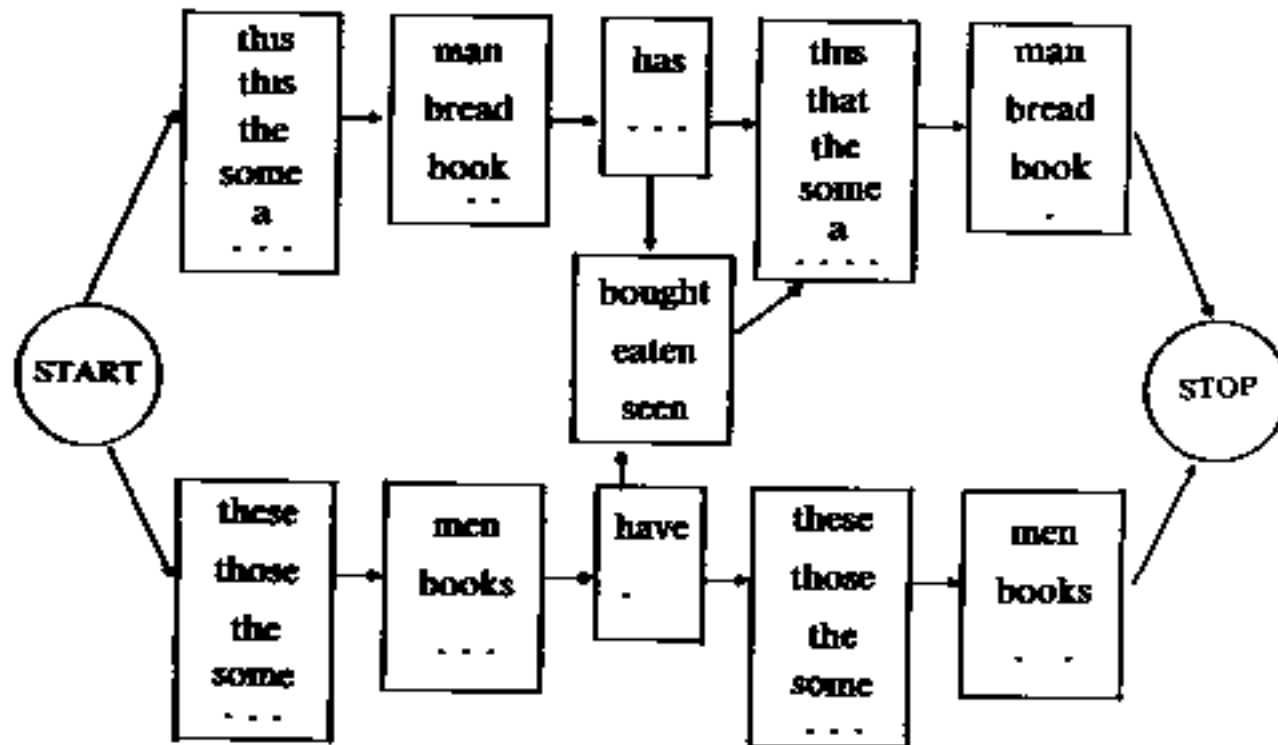
ولوجب عليه أن يتبع (الرجال) بـ (اشترُوا) ولكن دون الحاجة لتعبير (بعض الحبر) ويمكن تمثيل ما ذكرناه بيانياً في الشكل التالي<sup>(١)</sup>:



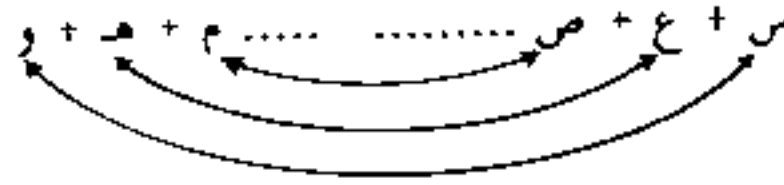
وستطيع أن تفسر هذا الشكل كما يلي: علينا أن نعتبر النحو كآلة أو جهاز (بالمعنى المجرد الذي ذكرناه في الفصل السابق) يتحرك ضمن عدد ثابت من المواقع الداخلية internal states وهو ينتقل من نقطة البداية initial state إلى نقطة النهاية final state عند توليد الجملة وبمجرد أن يسح النحو كلمة من مجموعة الكلمات التي تلائم ذلك الموقع ينتقل إلى اختيار كلمة أخرى تناسب الموقع الذي يليه متبعاً الجهة المحددة وبهذا تكون السلاسل المولدة بهذه الطريقة سليمة نحويًا (وفق النحو الذي يمثله الشكل السابق) ويولد النحو آلاف الذكر عدداً محدوداً من الجمل، ولكن يمكن توسيعه بأن نجعل الجهاز قابلاً للدوران والعودة إلى أي موقع سابق عند أماكن محددة نحارها. ويمكننا مثلاً أن نصيغ ثعرات بين (الرجل، الطالب، العامل) من جهة وبين (يعرف، يجب، يشد) من جهة أخرى بحيث يتسنى لنا إدخال كلمات أخرى بين الكلمتين مثل (الصحيح، العاقل، المحمد، الذكي ...) وبذلك نولد (هذا الرجل الصحيح يعرف القراءة، ذلك الطالب المحمد يحب دروسه، ان العامل الذكي يشد التطور ..) وهكذا وفي نفس الوقت يمكن توسيع النحو بحيث يتيح توليد جمل مركبة (معطوفة) مثل

(ذلك الطالب يحب دروسه وذلك العامل الذكي يشد التطور)<sup>(١)</sup>. ان هذه الجمل بسيطة دون شك، ومن الواضح أن التوصل الى نحو محدد قادر على توليد أنموذج واسع يمثل الجمل الانكليزية أمر — وان كان ممكناً — لا يحلو من التعقيد. ومن الملاحظ أننا وصعنا الكلمات (هذا، ذلك، ان) في مجموعة واحدة — وكذلك (هؤلاء، أولئك، ان) في مجموعة أخرى، وهذا ضروري لكي نحسب توليد جمل رديقة التركيب مثل \* (هذا الرجل يعرفون القراءة) أو \* (أولئك الطالب يحب دروسه) إلخ ... وتتصاعف هذه المشكلات سريعاً اذا فكرنا جدياً بكتابة نحو مسي على المواقع المحدودة غير أن تشومسكي أثبت أن رفض مثل هذا النحو كأنموذج ملائم لوصف اللغات الطبيعية قائم على اعتبارات لها صلة بالتعقيد العملي وبمعرفة الكاملة بالطريقة التي يجب أن تتم بها عملية وصف الظواهر النحوية المختلفة. وقد يبر تشومسكي عدم جدوى النحو المبني على المواقع المحدودة بإشارته الى طرق معينة لبناء الجملة يقف عندها ذلك النحو عاجزاً عن وصفها مهما قبلنا بركاكة أسلوب التحليل وبعده عن المنطق السليم.

(١) تعتمد المترجم ادخال بعض التعديل في ترجمته للنص الأصلي كي يلائم تركيب اللغة العربية وذلك امتعاً في بساط الفكرة للقارئ العربي أما الشكل الانكليزي الأصلي فهو كالآتي



ولنا أن نطلع على ما قدمه تشومسكي من براهين لدحض نحو المواقع المحدودة في كتابه البنى النحوية حيث يعتمد على وجود علاقة مشتركة بين كلمات غير متجاورة وأن هذه الكلمات التي تعتمد على بعضها بعضا يمكن أن تفصل بينها جملة معترضة أو ما شابه ذلك بحيث نحوى الجملة المعترضة بدورها على روح من الكلمات غير المتجاورة مع أن كلاهما تعتمد على الأخرى فهي قولنا مثلا (الطالب الذى يقول ذلك هو كاذب) هناك علاقة مباشرة بين (الطالب) و (هو كاذب) مع أن عبارة (الذى يقول ذلك) تفصل بينهما. وفي العبارة المعترضة هناك علاقة مباشرة بين (الذى) و (يقول) وستطيع بسهولة أن تكون جملة أكثر تعقيدا كما في المثال: (الطالب الذى يقول ان من يتفاحس محطىء هو محق) وهنا يلمس العلاقة المباشرة بين (الطالب) و (هو محق) وبين (من) و (محطىء) كما يستطيع أن يدخل جملة معترضة أخرى بين (ان) و (هو) بحيث تحتوى تلك الجملة على كلمات ذات علاقة مباشرة ببعضها البعض دون أن تكون متجاورة بالضرورة. وبذلك تكون النتيجة جملة تعكس بداخلها جملا أخرى كما هي الحال في الحيات المتعكسة في المرايا المتقابلة. ويمكن أن نكتب الجملة في هيئة علاقة رياضية كما يلي:



حيث نجد العلاقة المباشرة بين طرفي الجملة (س) و (و) ثم بين العناصر التالية (ع) و (هـ) ثم (ص) و (م) هكذا. كما نرى أن أية لغة تقع خارج نطاق النحو المسي على المواقع المحدودة اذا كانت تحتوى على عدد لا حصر له من الجمل التي تتميز بخاصة (المرايا المعكسة).

ان توليد الجملة — كما ذكرت آنفا — بتطبيق سلسلة من عمليات الاختيار تتم من اليسار الى اليمين (في اللغة الانكليزية) ليس له من مسوع سوى أنه أمدوح بسيط الشكل. ويرجع السب في اهمام تشومسكي بنحو المواقع المحدودة الى أن اللغة كانت تعتبر من وجهة النظر تلك مرتبطة بتصميم قنوات اتصالات شبيطة ابان الحرب العالمية الثانية، وهي نظرية على مستوى رفيع من الرياضيات التي قدمت نظرية المعلومات information theory الى العديد من المجالات بعد

الحرث بما في ذلك علم النفس وإنسانيات هذا ولم يبرهن تشومسكي — بل لم  
يتَّع أنه يبرهن — استقلال ( نظرية المعلومات ) عن البحوث المعوية. لكنه أثبت  
أن تطبيقها بدء على فرصة توليد الجملة (كلمة فكلمة) و (من اليسار إلى اليمين)  
يجعلها غير صالحة بوصف بعض التراكيب في اللغة الإنكليزية

## ٦ - نحو بنية العبارات

في الفصل السابق ألمحت الى أن البنية النحوية لحملة ما يمكن أن توصف ونحل بتحديد الكلمات التي تتكون منها الحملة ومعرفة ترتيب هذه الكلمات فيها، كما رأينا أن النحو المبني على (المواقع المحدودة) والذي يقوم على هذا الافتراض عاجز عن توليد نوع معين من الحمل الانكليزية. أما النموذج الثاني من النماذج الثلاثة التي قدمها تشومسكي لوصف اللغة وهو نحو بنية العبارات phrase structure grammar فهو أفضل في هذا الميدان، إذ أنه قادر على توليد جميع ما يولده نحو المواقع المحدودة لكن العكس ليس صحيحا. فهناك مجموعات من الحمل يستطيع نحو البنية أن يولدها بينما يعجز نحو المواقع عن توليدها. وهذه هي إحدى الطريقتين التي أثبتنا تشومسكي في أعماله التأسيسية التي سبق البنية النحوية ولنقل ان العلاقة بين نحو البنية ونحو المواقع المحدودة تكمن في أن الأول يتمتع بقوة كامنة أكبر من الثاني. ومن الأمثلة التي أتت بها تشومسكي في هذا المحل المثال التالي

(الرجل رمى الكرة)<sup>(١)</sup> في هذا المثال نجد أن الحملة مؤلفة من ثلاث كلمات مرتبة في نظام معين<sup>(٢)</sup>، وفيها أداة التعريف (ان -) وسطلق عبارة (المكونات الهائية ultimate constituents) على الكلمات التي تشكل الجملة (نعني أن هذه المكونات غير قابله للمزيد من التحليل على الصعيد النحوي). كما سطلق عبارة (البنية الخطية أي الأفقية linear structure) على النظام الذي ترد فيه المكونات الهائية بالنسبة لبعضها بعضا. وهذا يشير الى أن السحاة يعتقدون دائما بأن للجملة نوعا آخر من البنية النحوية بالإضافة الى البنية الخطية (الأفقية) أو أنه مستقل عنها. ولو عرصنا هذا المثال البسيط على أحد السحاة التقليديين لقال أنه يتألف من مبتدأ (الرجل) وجملة حالية (رمى الكرة) كسائر الحمل البسيطة ويمكن أن نصيف الى أن المبتدأ (الرجل) يتألف من أداة

(١) حافظ شرجم على الترتيب الانكليزي عند ترجمه الجملة بأن عرّبها جملة اسمية بدلا من صيغة تهييلا للنسج فالانكليزية لا تسمح ببدء الجملة بالفعل . على عكس العربية التي تسمح للفعل أو الاسم باحتلال الموقع الأول من الجملة وسواء أكان في العربية (الرجل رمى الكرة) أو (رمى الرجل الكرة) لما اختلف المعنى اختلافا جوهريا وهذا مستغرض للسهولة أن الحملين متماثلان وسنمر في اعتبارنا للصيغة الاسمية بدلا من الفعلية ومن المهم ان نتبه الى أن القواعد الأساسية لـ نحو البنية التي وضعها تشومسكي لا تناسب العربية تماما فهي تناسب حمل التي تتألف من مبتدأ حيي جملة عليه فقط

(٢) تتألف الصيغة الانكليزية من خمس كلمات على عبارة أن أداة التعريف the كلمة مستقلة في الجملة The man hit the ball

التعريف (ال) + اسم (رجل) وأن الخبر يتألف من فعل (رمى) ومفعول به (الكرة). (لرمز الى الاسم وأداة التعريف المتصلة به بالرمز تر/اس وللعمل والمفعول به بالرمز تر/فع وللفاعل بالرمز فع توحيا للسهولة)<sup>(١)</sup>. ان هذا النوع من التحليل هو في واقع الأمر تحليل المدرسة اليلومفيلدية القائم على المكونات المباشرة immediate constituent analysis . فالمكونات المباشرة للمثال السابق هي (الرجل) ووظيفته مبتدأ و (رمى الكرة) وهي الجملة التي تقوم مقام الخبر ..... وبالمثل فان المكونات المباشرة للمبتدأ هي أداة التعريف (ال) والاسم (رجل)، كما أن المكونات المباشرة للجملة الخبيرة هي الفعل (رمى) والتركيب الاسمي (الكرة) الذي يتكون بدوره من أداة التعريف (ال) والاسم (كرة)، ويقوم هذا التركيب الاسمي بدور المفعول به في الجملة الخبيرة.

ومن ناحية أخرى تشبه فكرة بنى المكونات phrase أو constituent structures كما يسميها تشومسكي فكرة التحليل الى أقواس في الرياضيات والمنطق الرمزي. فادا أخذنا علاقة رياضية ولتكن من  $x (ع + ص)$  لأدركنا أن عملية الجمع يجب أن تسبق عملية الضرب والعكس صحيح، أي اذا أخذنا العلاقة  $ص + ع \times ص$  فانا نفسرها على أنها تساوي  $ص + (ع \times ص)$  اد من المتعارف عليه في حال عدم وجود أقواس أن عملية الضرب تسبق عملية الجمع. وبشكل علم فان الاختلاف في ترتيب العمليات الحسابية هذه يعطي نتائج متباينة. ولو أعطينا القيم ٢، ٣، ٥ لكل من  $ص$ ،  $ع$  على التوالي فان  $ص (ص + ع) = ١٦$  بينما نجد أن  $ع + (ص \times ص) = ١١$ . وهناك متواليات عديدة من الكلمات الانكليزية واللغات الأخرى تشتمل على اشكالات في تفسيرها كما هي الحال في العلاقة  $ص + ع \times ص$  اذا ما استبعدنا العرف المتفق عليه في الرياضيات والذي يقدم عملية الضرب على الجمع. ولنأخذ مثلا العبارة (الطلاب الأذكاء والشيطون) التي تتألف من (تر/اس + صفة - و - صفة). فالملاحظ أن هذه العبارة فهمها بطريقتين الأولى (الطلاب الأذكاء) + (الشيطون) - قارن هذا التفسير مع  $(ص + ص) + ع$  والثانية الطلاب (الأذكاء والشيطون)، قارن هذا مع  $ص (ص + ع) -$  فهي الحالة الأولى نجد أن الاسم (الطلاب) يأخذ الصفتين معا (الأذكاء + الشيطون) وهذا يعني أن الطلاب الأذكاء هم أنفسهم الشيطون، أما في الحالة الثانية فان الصفة (الأذكاء) تتبع الاسم الذي يسبقها (الطلاب) بينما تتبع الصفة الثانية (الشيطون) اسما مختلفا يماثل (الطلاب). وبما على ذلك فان (الطلاب الأذكاء) ليسوا

(١) هنا أيضا يظهر فرق آخر بين العربية والانكليزية فالفعل العرب يجرود (رمى الكرة) في قولنا (الرجل رمى الكرة). جملة فعلية فاعلها ضمير مستتر جواز تقديره هو، يعود على «الرجل» لكنا لن نبنى هذه الفقرة في شرحنا لهذه القواعد التي سبق وذكرنا أنها مصممة أصلا للغة الانكليزية.

بالضرورة هم أنفسهم (الطلاب الشيطون)<sup>(١)</sup>. إلا أننا لن نسهب في مناقشة هذه المقولة الرياضية أبعد من هذا الحد، وحسبنا في الوقت الحاضر أن نلاحظ أن أية سلسلتين من العناصر يمكن أن تأخذنا نفس التركيب المتوالي ولكنهما قد تختلفان في تركيبهما من حيث المكونات الموجودة في كل منهما وهذا ما يؤثر في تفسيرهما اللغالي. إن أهمية هذه الظاهرة التي تدعى باللبس البنيوي structural ambiguity أو بالتماثل البنائي constructional homonymy — كما يسميها تشومسكي — تكمن في تعذر وصف السلاسل البوية المشابهة للمثال الذي أوردناه عن طريق البحث عن اختلافات في معاني مكوناتها النهائية لو في بنيتها الألفية. ولقد أسهب اللغويون من سبقوا تشومسكي في مناقشة تحليل المكونات المباشرة، ألا أن إسهام تشومسكي في هذا المجال يتمثل في صياغته formalizing لهذا النحو من مجموعة من القواعد المولدة generative rules ومن ثم إيضاحه أن نحو المواقع المحدودة وأكثر النواقص في الوقت الحالي، على الرغم من كونه أقوى من نحو المواقع المحدودة وأكثر منه ملائمة لوصف اللغات الطبيعية. والقواعد التالية تفسر صيغة بنية العبارات كما طرحها تشومسكي :

١ — الجملة  $\leftarrow$  تركيب اسمي + تركيب فعلي  
ج ترا/اس ترا/فع

S  $\longrightarrow$  NP VP

٢ — التركيب الاسمي  $\leftarrow$  أداة + اسم  
ترا/اس د اسم

NP  $\longrightarrow$  Art N

٣ — التركيب الفعلي  $\leftarrow$  فعل + تركيب اسمي  
ترا/فع ف ترا/اس

VP  $\longrightarrow$  V NP

(١) قام المترجم بتعديل المثال الأصلي بما يلام العربية، فمثال الانكليزي هو old men and women حيث يكس اللبس الاسم الذي فيه الصفة old ونحو (اللسن) أمر men فقط ثم أن الصفة تتبع women أيضا. أي أن هناك احتمالين

1 (old men) and women

2 old (men and women)

٤ — الأداة —————> ال / صفر

■

Art —————> them, a, an

٥ — الاسم —————> رجل ، رهرة ، باب . . .  
اس

٦ — الفعل —————> ذهب ، رمى ، دم . . .  
فع

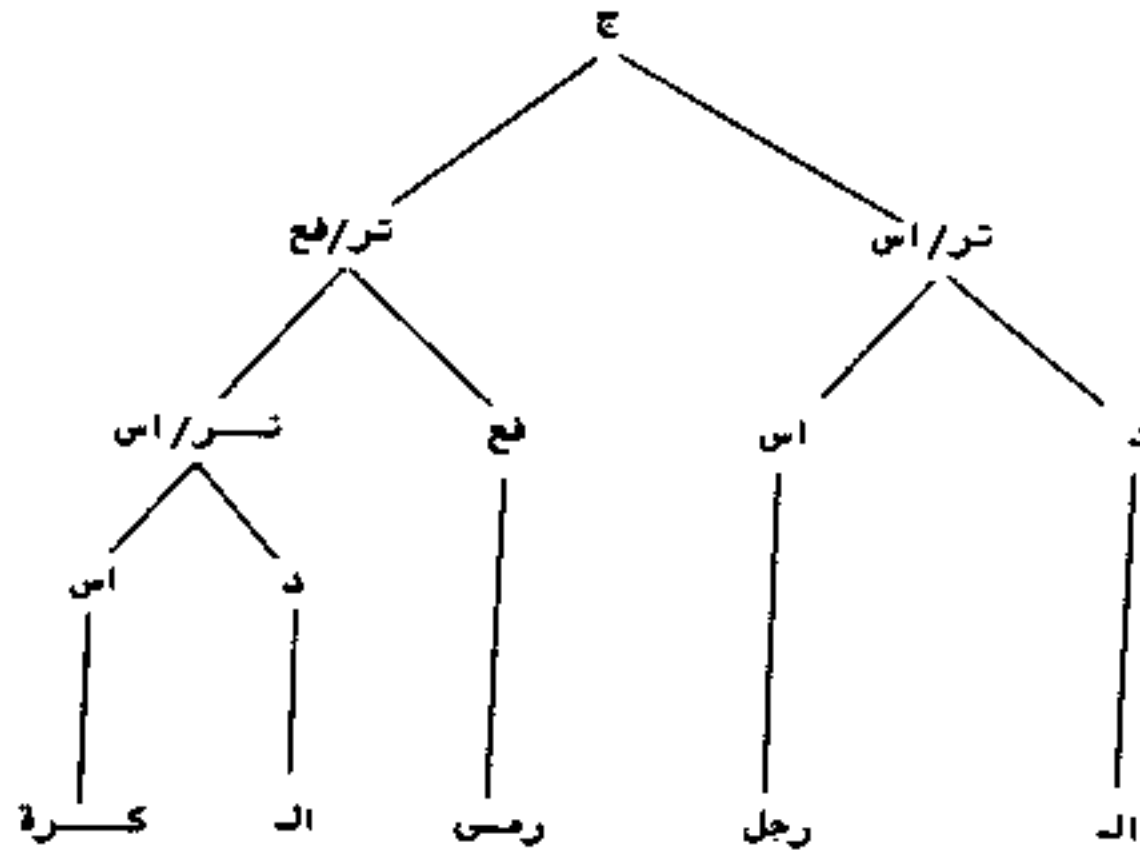
هذه المجموعة من القواعد التي لا تولد سوى عدد ضئيل فقط من الجمل هي  
أنموذج بسيط لنحو بنية العبارات.

وتحمل كل من هذه القواعد العلاقة من —————> ع حيث (س) عبارة  
عن عنصر وحيد و (ع) سلسلة تتألف من عنصر أو أكثر. أما السهم  
(—————>) فيشير الى تعويض العنصر الموجود الى جهة اليمين مما يساوية من  
العناصر في جهة اليسار (أى عوص (س) بقيمتها (ع). أما القاعدتان الخامسة  
والسادسة فتحويان أقواسا طويلة تصم العناصر التي علينا أن نختار واحدا منها فقط  
(وذكرنا ثلاثة احتمالات في كل قاعدة على اعتبار أن النقاط (.....) تعني الخ). أما  
تطبيق القواعد يتم كما يلي: يبدأ بالعنصر الذى يمثل الحملة (ج) مطبق القاعدة رقم (١)  
التي تولد السلسلة string المؤلفة من [تر/اس + تر/فع]. ثم نتفحص هذه السلسلة  
لنرى ما اذا كان أي من مكوناتها يمكن أن يبدل مما يساوية حسب القواعد المرقمة من  
(١) الى (٦)، فنتبين أننا نستطيع ان نطبق اما القاعدة (٢) أو (٣) في هذه المرحلة،  
وليس مهما أيهما نختار، فادا طبقا (٣) حصل على السلسلة [تر/اس + تر/اس] وعنده  
نطبق (٢) مرتين، يليها (٤) ثم (٥) مرتين وبعدها (٦) مرة واحدة (وذلك بالترتيب الذى  
نريد، شريطة أن نراعي تطبيق (٢) قبل (٤) و (٥) كما أن (٣) يجب أن تسبق (٦)  
ومرة واحدة من (٢). وعلى افتراض أننا اخترنا في (٥) و (٦) الكلمات (رجل) و (كرة)  
و (رمى) تكون السلسلة النهائية التي نحصل عليها بتطبيق القواعد المذكورة هي

[ال + رجل] + رمى + [ال + كرة]، ولتوليد مثل هذه السلسلة هناك تسع  
خطوات علينا اتباعها، كما أن المجموعة المؤلفة من السلاسل التسع بما فيها السلسلة  
البداية والسلسلة النهائية والسلاسل السبع المحصورة بينهما تشكل ما يعرف بالاشتقاق

derivation في عرف نحو بنية العبارات الذي نحن بصدده. (يمكن للقارئ أن يجرب مدى استيعابه لهذه القواعد بمحاولة بناء اشتقاق بسيط بنفسه).

وربما يتساءل بعض القراء كيف يعطي هذا النظام لكل جملة بينها المناسبة؟ والجواب عن هذا السؤال يتجسد من خلال أسلوب متعارف عنه يرتبط بعملية التعويض بالقيمة المناسبة التي ذكرناها آنفا. فكلما طبقنا قاعدة ما، نضع أقواسا حول سلسلة العناصر التي نتجت عن ذلك، ونسمي السلسلة المحصورة داخل القوسين تبعا للعنصر الذي تمت عملية التبديل بقيمته حسب القاعدة. فالعصران تر/اس + تر/فع، مثلا الناتجان عن القاعدة رقم (١) يوضعان داخل قوسين يحملان العنوان (ح) [تر/اس + تر/فع]، كما تدرج السلسلة: تر/اس + فع + تر/اس تحت (ح) أيضا: [تر/اس + فع + تر/اس]. وهكذا دواليك. وهناك وسيلة مشابهة ومكافئة للتمثيل بالأقواس المعنوية التي تعطى لسلاسل العناصر الناتجة عن نحو بنية العبارات، ألا وهي شكل الشجرة (أي واسم العبارة) الموضح كما يلي:



شكل رقم (٢)

وبما أن شكل الشجرة أكثر وضوحا للعين من سلاسل العناصر والأقواس، فإنها أكثر استعمالا وشيوعا في الأعمال النحوية، لذا سنستخدمها في هذا العمل أيضا — ما

حلا الأمثلة البسيطة. ونستطيع أن نتيين من الشكل (٢) المعلومات الآتية :

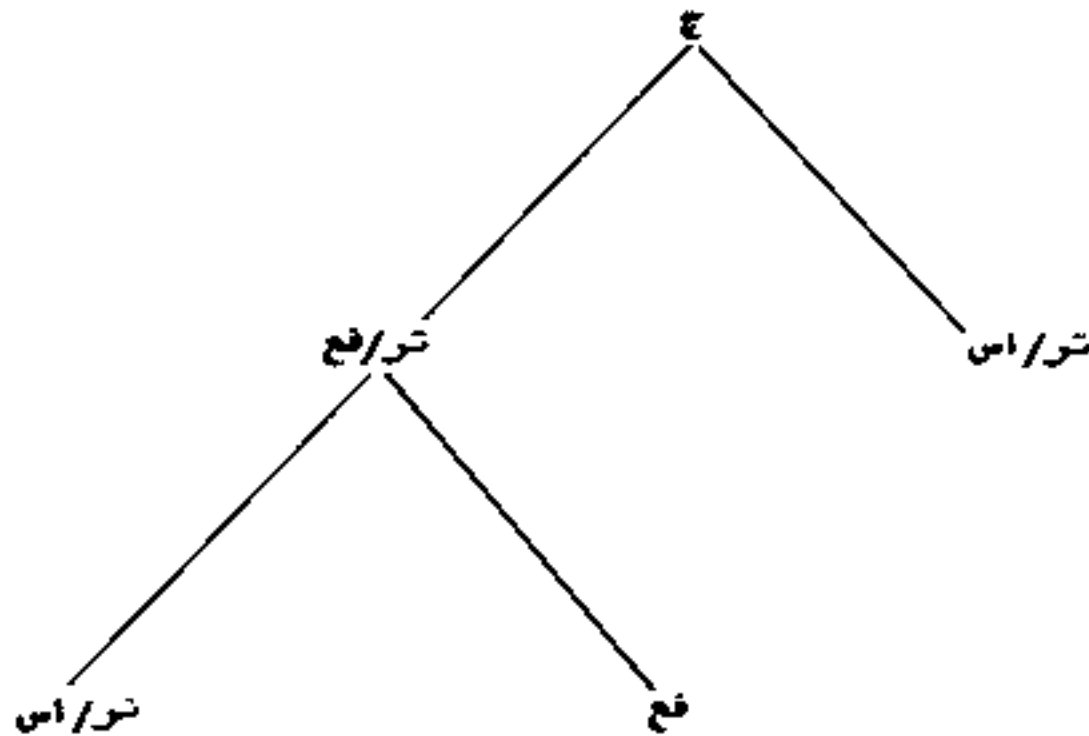
string of terminal elements

ان سلسلة العناصر النهائية

{ [ال + رجل] [رمى + (ال + كرة)] } هي جملة (ج) تتألف من مكونين :

تر/اس [ال + رجل] و تر/فع [رمى + (ال + كرة)]. كما أن التركيب الاسمي الذي يقع الى اليمين من التركيب الفعل يتألف بدوره من مكونين: د (ال) واس (رجل)، أما التركيب الفعلي فيتألف أيضا من مكونين: فع (رمى) و تر/اس (الكرة). وبالمثل فان التركيب الاسمي الذي يقع الى اليسار من الفعل يتألف من مكونين: أداة د (ال) + اسم اس (كرة). ومن هنا نرى أن الشجرة تمثل كل ما قلنا سابقا ان له علاقة بالتحليل الى المكونات المباشرة علما أن «(الرجل) مبتدأ (المسند اليه) أو أحيانا (الفاعل المنطقي) subject وأن (رمى الكرة) هي الخبر (المسند) predicate، وأن (الكرة) مفعول به للفعل (رمى). الا أن هذه المعلومات — لاسيما الفرق بين الفاعل والمفعول به، يمكن أن تحدد كما يقول تشومسكي في البنى النحوية و عناصر نظرية النحو Aspects of the Theory of Syntax من خلال المواقع التي تحتلها من الشجرة نفسها. فالمسند اليه (أي المبتدأ أو الفاعل المنطقي) هو التركيب الاسمي الذي يخضع مباشرة immediately dominated لعصر الحملة (ج) (١). أما المفعول به فهو التركيب الاسمي (تر/اس) الذي

(١) ونحى بكلمة (مفعول به) أن يكون العنصران على اتصال مباشر دون أن يفصل بينهما عنصر آخر. وفي الشكل التالي نرى أن تر/اس يخضع مباشرة الى (ج) ولكن ليس تر/اس.



يخصص مباشرة للتركيب الفعلي (تر/فع) وليس للجملة (ج). وسرى في الفصل التالي أن من الضروري استخدام هذه المصطلحات عند مناقشتنا «للنحو التحويلي transformational grammar».

وهناك أساليب متعددة يمكننا بواسطتها أن نوسع النحو السيوى المصغر الذى بدأنا به وذلك كي نولد المزيد من الجمل فى اللغة. إلا أن السؤال هو هل يلائم نحو من هذا النوع العلم من حيث المبدأ وصف جميع الجمل التى نعتبرها سليمة البنية؟ فتشومسكي لم يكن قادراً على إثبات وجود حمل انكليزية يعجز نحو بنية العبارات عن توليدها (على الرغم من أنه ثبت أن هذا النوع من النحو يعجز عن توليد بعض التراكيب فى لغات أخرى غير الانكليزية)، لكنه ذكر فى البنى النحوية وفى مؤلفات أخرى، أن هناك جملاً انكليزية لا يمكن وصفها إلا بطريقة ركيكة ضمن إطار نحو البنية، ويقصد بذلك أن الوصف غالباً ما يكون بالغ التعقيد ومصطنعاً وعقياً.

والنقطة الهامة هنا هي أن تشومسكي يفسح المجال أمام إمكانية تفصيل نوع معين من النحو على نوع آخر رغم أهميتهما متساوية، بمعنى أن كليهما يستطيع توليد نفس المجموعة من الجمل (ولنا أن نسمي هذا بالمساواة الضعيفة)، ويقول ان ثمة أسباباً تبرر مثل هذا التفضيل. وفى البنى النحوية يقول تشومسكي ان من مجموعة الأسباب التى تدعونا لتفضيل «النحو التحويلي» على «نحو بنية العبارات» هي أن الأول أكثر بساطة من الثاني الى حد ما. ولكن من الصعب عملياً — أن تفسر بالتحديد ما المقصود بكلمة (البساطة) المستخدمة هنا، فكيف لنا أن نعرف ما اذا كان النحو الذى يتطلب عدداً من القواعد — و بعضها معقد — من أجل توليد مجموعة معينة من الجمل أقل أو أكثر بساطة من نحو آخر يحتاج الى عدد من القواعد أقل مما يحتاجه الأول بكثير دون أن يكون أى منها معقداً — وذلك لكي يولد نفس المجموعة من الجمل اد ليس ثمة طريقة واضحة لمقارنة نوع معين من (البساطة) بنوع آخر منها.

ولم يعد تشومسكي يعلق أهمية كبيرة على مفهوم (البساطة) فى أعماله الأخيرة، اد بدأ يوجه القسط الأكبر من اهتمامه الى إثبات أن النحو التحويلي يعكس (الحدس اللغوى الفطري) intuitions عند المتكلم بصورة أفضل وأنه أكثر وضوحاً من نحو بنية

العبارات من الوجهة الدلالية . ولعنا نتبين مدى قصور النحو البيوي في هذه الساحة  
عندما يبحث في المثاليين التاليين :

١ - أحمد ساهر الى دمشق.

٢ - ساهر أحمد الى دمشق

صحيح أنما نستطيع أن نضع عددا من (قواعد بنية العبارات) نمكنا من توليد  
هاتين الجملتين وغيرهما أيضا، لكن المشكلة هي أن الناطق باللغة يحس أن لكلتاهما  
نفس المعنى تقريبا<sup>(١)</sup> غير أن نحو بنية العبارات يعجز عن الربط بين المثاليين السابقين (١)  
و (٢) وعن أحد الجانب الدلالي في الحسبان. وكما سترى في الفصل الثاني فإن النحو  
التحويي يستطيع أن يصف العلاقة بين الجملتين السابقتين وأن يعسرهما<sup>(٢)</sup>.

ومن الملاحظ أن جميع القواعد البيوية التي قدمت في هذا الفصل مستقلة عن  
السياق context free بمعنى أنها من النوع س ————— ع حيث (س) عنصر  
واحد و (ع) سلسلة مكونة من عنصر أو أكثر، وليس هناك ما يحدد السياق الذي يجب  
أن يتوفر كي تأخذ (س) قيمتها (ع). ولأحد مثالا من نوع آخر وليكن  
(س) ————— ع/ص ————— هـ ويُقرأ كما يلي: ان (س) تأخذ قيمتها  
(ع) عندما تكون (ص) الى يمينها و (هـ) الى يسارها. (هناك أساليب شتى لتحديد  
شروط السياق المطلوبة) أما القواعد الحساسة للسياق context sensitive والمدرجة في  
هذا المقام فتمكنا من وصف ظاهرة مطابقة ( concord agreement ) الفعل لمفعله  
النحوي كما في قولنا (انزول وصلوا) و (الرائر وصل) وكذلك بين الصفة والموصوف الى

( ١ ) ذكر تشومسكي المؤلف أنه لا يحس بتعبير في موقفه غير السوي وذلك فيما يتعلق بعميري (البساطة) و (الحدس القوي). وهو  
يعتمد بوجه بعض الالتباس نظر لأن البنية النحوية بعد نسخة منطقية من كتاباته السابقة غير المتسوية. وهذا فإن الكتاب المذكور  
أكد على قدرة بوليفيه ضخمه بدلا من أن يكون قوية. وأن متأكد (المؤلف) أن معظم القويين الذين قرأوا البنية النحوية عندما  
ظهر لأول مرة عام ١٩٥٧، عسروا آراء تشومسكي حول النظرية اللغوية بنفس الطريقة التي عرصبها في الفصل الرابع. ولا بد من  
التساؤل هل كانت أعمال تشومسكي لتحدث نفس الأثر في اللسانيات لو لم يكن البنية النحوية منطقيا؟

( ٢ ) هذا بعض النظر عن مسألة التوكيد

( ٣ ) سواء في اللغة العربية كما في المثال المذكور، أم في اللغة الانكليزية كما في حال دبي للمجهول في المثال الأصلي

غير ذلك من الطواهر النحوية في العديد من اللغات.

وستستخدم القواعد الحساسة للسياق في الفصل القادم، ولكن ينبغي أن نلاحظ  
هنا أن أنواع النحو المستقل عن السياق — من الناحية الشكلية — formal يمكن  
اعتبارها فئة مشتقة عن أنواع النحو الحساسة التي تحدد بالعلاقة التي تقول ان المتغيرات  
(ص) و (هـ) تترك فارغة في القاعدة (س) ————— ع/ص ————— (هـ).  
من هذا نستنتج أن أية مجموعة من الجمل يمكن توليدها في النحو المستقل context free  
grammar يمكن توليدها كذلك في النحو الحساس context sensitive grammar  
أيضا، لكن العكس غير صحيح

ذكرنا فيما سبق أن صفوف النحو الحساس للسياق أقوى في حد ذاتها من  
صفوف المستقلة عنه (وبالمثل فقد وجدنا أن (نحو بنية العبارات) المستقل أقوى في حد  
ذاته من نحو المواقع المحدودة، الأمر الذي يوجه انتباهنا الى نقطة هامة (ولو أنها تكنيكية  
جدا) من أعمال تشومسكي. ولا بد لنا من أن نأتي على ذكرها ولو من بعيد في كتاب  
من هذا الحجم ان (الخصائص الشكلية والقدر التوليدية لأنواع النحو المختلفة موحدة  
كمرع من الرياضيات أو المطلق وبشكل مستقل عن صلتها بوصف اللغات الطبيعية  
وتتمثل الخطوة الثورية التي اتخذها تشومسكي في حقل اللسانيات باعتمادها على هذا  
النوع من الرياضيات (مثل نظرية التتابع المتوالية recursive function theory وتطبيقه  
على اللغات الطبيعية كالانكسارية مثلا بدلا من اللغات الصعبة التي يتدعها اساطقة أو  
الكمبيوتر. لكن تشومسكي لم يقف عند حد الاقتباس لصيغة جاهزة ونظريات مثبتة  
كي يستفيد منها في اللسانيات، بل ساهم بأبحاث جديدة في ميدان النظم الشكلية  
formal systems من روية رياضية محنة. ولقد قطع البحث الرياضي في أنواع نحو بنية  
العبارات أشواطاً بعيدة خاصة ما يعرف منه نحو البنى المستقل عن السياق context  
free phrase structure grammar كما تمت عملية المعادلة وبتدرجات متفاوتة بين (نحو  
بنية) وأنواع أخرى من النحو التي تحسد أيضا فكره التحليل الى أقواس أو فكرة التحليل  
الى المكونات المباشرة immediate constituent analysis. ان البحوث الرياضية التي  
أجريت «في النحو التحليلي» والتي بدأها تشومسكي لم تحقق حتى الآن سوى القليل  
من التقدم نسبيا. إلا أن النحو التحليلي، كما سرى في الفصل التالي أشد تعقيدا من  
(نحو بنية العبارات) رغم احتمال تمحصه عن قدر أكبر من السهولة في وصف جملة معينة  
على حد تعبير تشومسكي في كتابة البنى النحوية.



## ٧ - النحو التحويلي

على الرغم من أننا لن نخصص في التفاصيل الدقيقة للنحو التحويلي إلا أنه من العسير أن نفهم آراء تشومسكي الشاملة لعلمسة «اللغة والفكر» ما لم تتوفر لدينا الدراية الكافية بالخصائص الأساسية لنظام الوصف النحوي الذي أرسى دعائمه قبل خمس عشرة سنة تقريباً والذي لم يتوقف عن التطور منذ ذلك الحين<sup>(١)</sup>.

وأول ما يجب ذكره في هذا المقام نقطة تتعلق بالمصطلحات فيما يرى أن «نحو بنية العبارات» يتألف حصراً من مجموعة من قواعد بنية العبارات، فإنا نجد أن النحو التحويلي يصمم بالإضافة إلى القواعد التحويلية transformational rules مجموعة من قواعد البنية التي يعتمد على تطبيقها المسبق وبإمكان القواعد التحويلية أن تحول سلسلة معينة من العناصر إلى سلسلة أخرى كما تستطيع من حيث المبدأ أن تحول «واسمة العبارة» التابعة لها أيضاً<sup>(٢)</sup>. أضف إلى ذلك أنها من الناحية الشكلية أكثر تنوعاً وتعقيداً من قواعد بنية العبارات. ولنتعرض أولاً بمجموعة مناسبة من قواعد البنية قبل أن نستقل إلى مناقشة القواعد التحويلية<sup>(٣)</sup>:

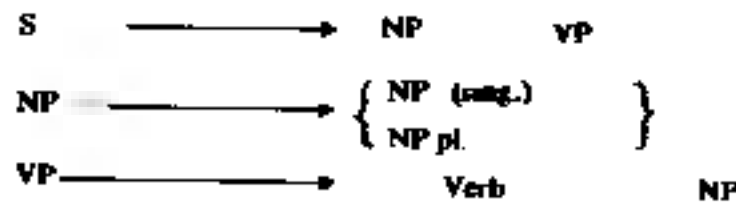
ج ————— ج + تر/اس + (تر/اس) (ج/ج)

هذه القاعدة البنيوية (البسيطة) تولد ما ندعوه بأساس الجملة base ونقصده به الشكل البدائي قبل تطبيق أية قاعدة تحويلية. وكل تقديم أو تأخير أو حذف يعد اشتقاقاً derivatin من الأساس أو من «البنية التحتية» deep structure فالقاعدة المذكورة تستطيع على سبيل المثال أن تولد الجملة :

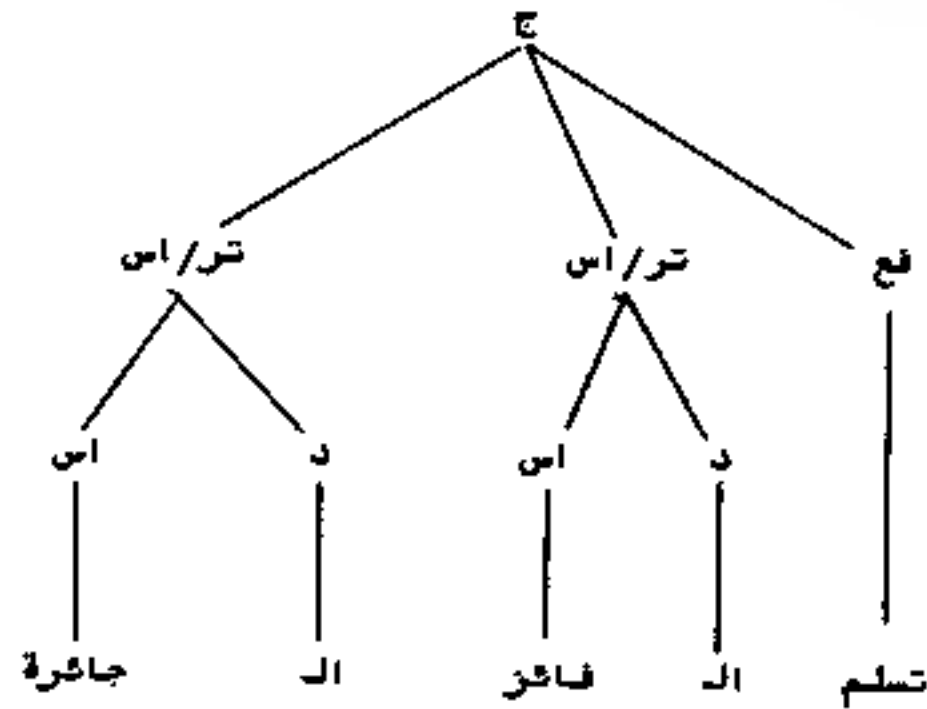
(١) من تاريخ نشر الكتاب عام ١٩٧٠

(٢) يقصد بذلك شكل الشجرة المطلوب عليه phrase marker

(٣) قام المترجم بتعديل قواعد البنية الموجودة في النص الأصل بما يلائم اللغة العربية أما القواعد الانكليزية الأصلية فهي



١ — تسلم الفائز الجائزة .  
ومثلها بواسطة العبارة التالية : (١)



ولنظر الآن إلى هاتين الجملتين :

٢ — الفائز تسلم الجائزة .

٣ — الجائزة تسلمها الفائز .

لا شك في أن هناك علاقة وثيقة بين الحمل الثلاث السابقة من الناحية الدلالية. فبالرغم من الاختلاف السطحي بينها، وبعض النظر عن موضوع التوكيد فإن الجمل

NP	→	T + N
sing		
NP	→	T + N + s
pl		
T	→	the
N	→	man, ball, book,
Verb	→	Aux + V
V	→	hit, take, eat,
Aux	→	Tense ( + M ) ( + have + en ) ( + be + ing )
Tense	→	{ present }
		{ past }
M	→	will, can, may,

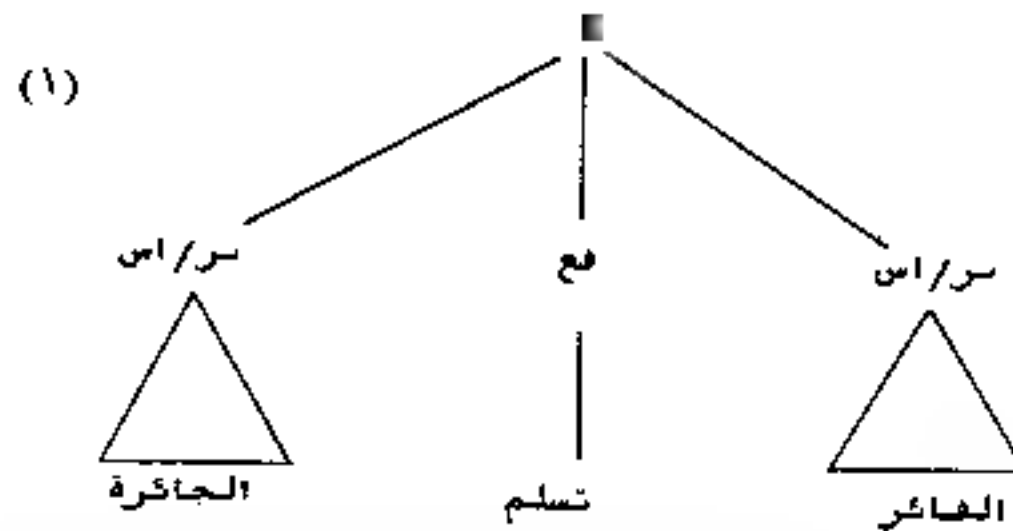
( ١ ) يمثل هذه الشكل البنية السطحية surface structure للجملة وليس البنية العميقة deep structure حيث يكون المقصود به «الجائزة» ولها نحو التركيب الفعل إلى جانب الفعل (الترجم)

الثلاث تعتبر مترادفة في معناها بوجه عام. من هنا كان لزاما على النحو أن يشمل وصفا  
لمثل هذه الحالات وأن يصيغ لها قواعد اشتقاق ملائمة كما يفعل «النحو التحويلي» حيث  
يمكننا اشتقاق (٢) و (٣) بواسطة قاعده تحويلية تسمى بقاعدة التبادل permutation  
transformation والتي تصاغ كما يلي

$$\begin{array}{c} \text{س} - \text{ر/اس} - \text{ع} \\ \text{س} - \text{ر/اس} - \text{ع} \end{array} \longleftrightarrow$$

(حيث س، ع عناصر رائدة لا علاقة لها بتطبيق القاعدة)

وبدئنا بمحصل على الشكل (٢) من (١)



ستنتج مما سبق أن قاعدة البادل التحويلية تصلح لاشتقاق جملة من الأمودح (٢) من  
الأساس (١) ولكنها مع ذلك لا نستطيع تفسير وجود «نصير المتصل (ها) في  
(تسلمها) في المثال (٣) وللتعب على هذه المشكلة، تم ادخال قاعدة «الاسقاط  
تحويلية focus transformation التي تتيح لنا إعادة توليد أي تركيب سمي في بداية  
الجملة ومن ثم نحول التركيب الاسمي الأصلي إلى شكل ملائم من أشكال نصير ويمكن  
تمثيل قاعدة الاسقاط التحويلية كما يلي :

$$\begin{array}{c} \text{س} - \text{ر/اس} - \text{ع} \\ \text{س} - \text{ر/اس} - \text{ع} \end{array} \longleftrightarrow \begin{array}{c} \text{ع} \\ \left[ \begin{array}{c} \text{تر/اس} \\ + \text{نصير} \end{array} \right] \\ ١ \end{array}$$

(٢)

(بشرط أن يكون تر/اس = تر/اس)

١ - ليس خائب في هذا الشكل على أن م عه يمثل عدة عناصر مثل (د + اس) وبدئنا للاختصار

ملاحظة (٣) (الجائزة تسلمها الفائز) من (تسلم الفائز الجائزة) مرحلتان :  
 ١ = إعادة إسقاط التركيب الاسمي في بداية الجملة

س - تر/اس ع

تسلم الفائز الجائزة / ←

تر/اس ١ - س تر/اس ع

الجائزة تسلم الفائز [الجائزة + ضمير] / (١)

٢ - تحويل التركيب الاسمي الأصلي الى صورة ضمير وربطه بالفعل، وبذلك :

الجائزة تسلم الفائز ها

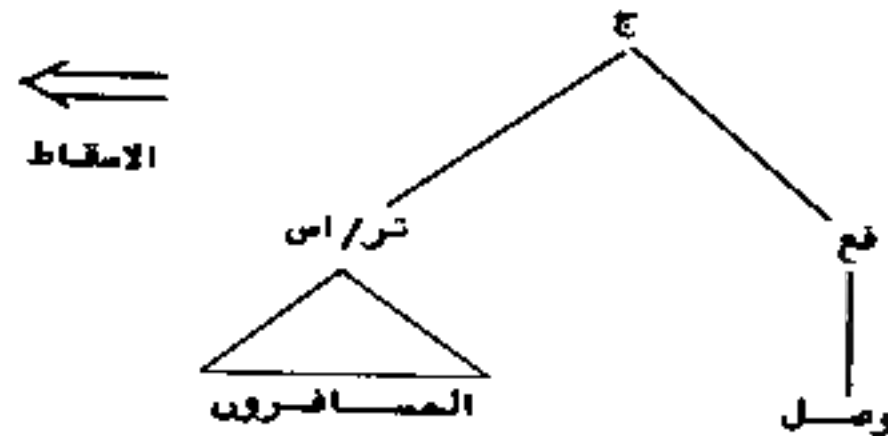
ولقاعدة الإسقاط التحويلية هذه ميزة تفسير ظاهره التبعية بين الفاعل المطلق وفعله عندما يبدأ الجملة بالفاعل كما في قولنا.

٤ - المسافرون وصلوا.

فمن المعروف في اللغة العربية أن الفعل يأخذ صيغة المفعول إذا جاء قبل الفاعل ولو كان فاعله متى أم جمعاً كما في المثال :

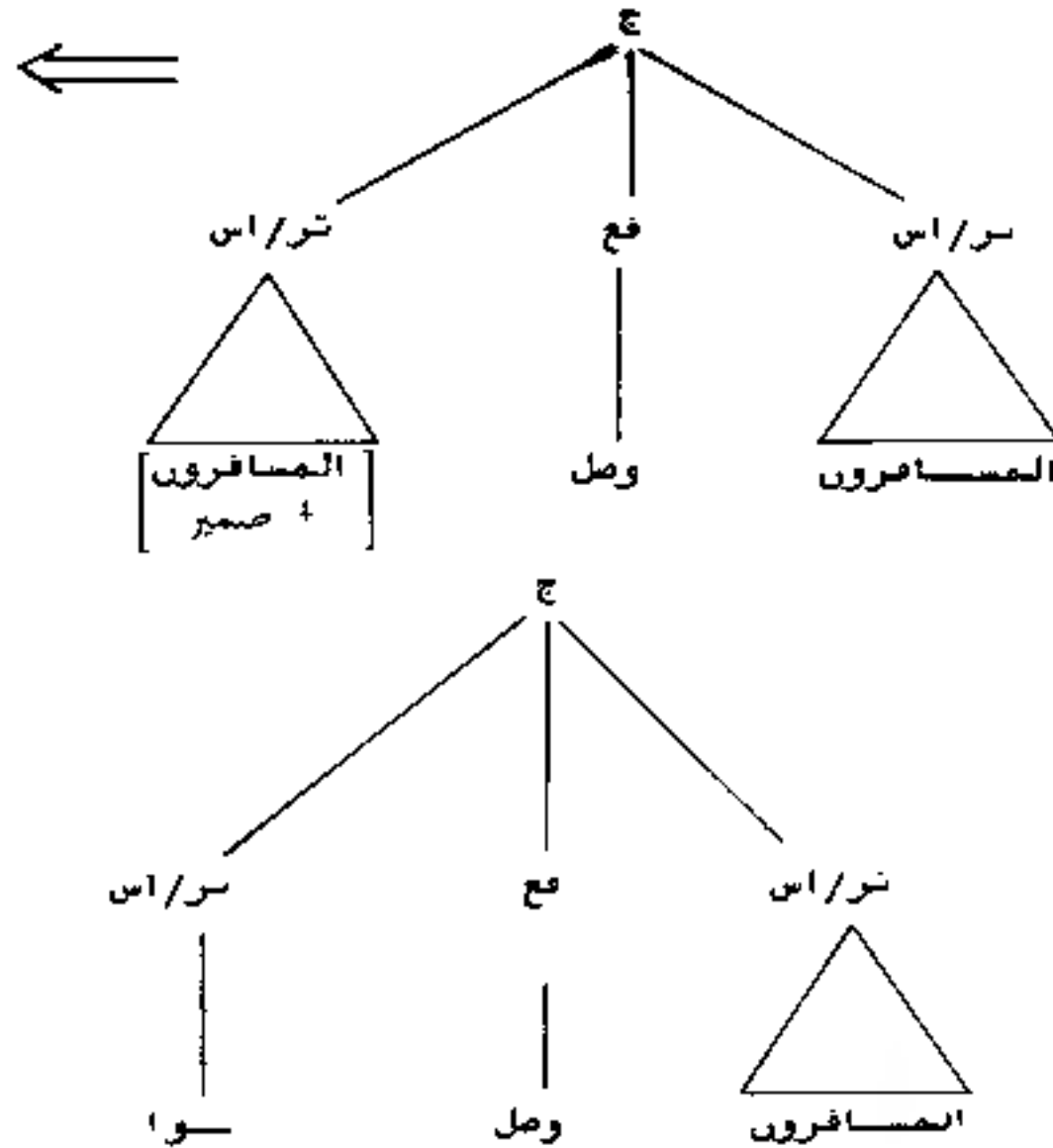
٥ - وصل المسافرون.

هنا الجماعة التي تتصل بالفعل (وصل) في (٤) ما هي في الحقيقة إلا ما بقي من



(١) القوم [تر/اس] يعني أن الاسم يجب أن يتخذ شكل المفعول ولا يسمي اسكتبه الاختيار بين الاسم والمفعول

التركيب الاسمي الأصلي الموجود في (٥) والذي أعيد توليده في بداية الجملة (٤). ومثل  
مراحل توليد (٤) كما يلي .



ومن لملاحظ أن قاعدة الأسقاط التحويلية تطبق على الفاعل والمفعول به في آء واحد،  
وفي هذه الحال يصل بالفعل صغير يتبعان كلام الاسمين اللذين أعيد توليدهما في  
بداية الجملة والصغير الأول يمثل الفاعل عادة بينما يمثل الثاني المفعول به. ونسفر ان  
مثال التالي

٦ — سرق النصوص الخزنة.

٧ — اللصوص سرقوا الخزنة

٨ — الخزنة النصوص سرقوها

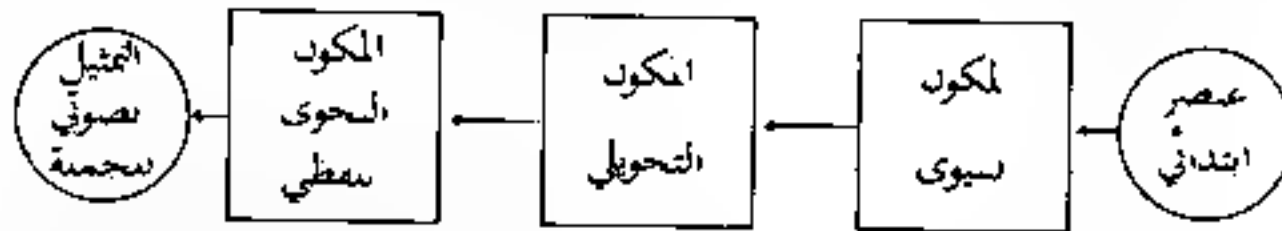
ملاحظ في المثال (٨) أن الفاعل المنطقي (النصوص) والمفعول به المنطقي (الخزنة)  
يتقدمان على الفعل (سرق) الذي يصل بالصغيرين (الواو) ومثل الفاعل و (ها) التي

تمثل المعون به ومن السهل تفسير وجود هذين بصميرين اذا أخذنا بقاعدة الاسقاط التحويلية التي أعادت توليد كل من الفاعل والمفعول به الموحودين في (٦) ووضعتهما في بداية جملة (٨) نازكة صميرين بحلال محلها

ولابد من الاشارة هنا الى قاعدة لاسقاط يجب أن تطبق على فاعل ولا ثم على معون به ثلا تولد سلاسل حاكمة كما يتبين من المقارنة بين (٨) و (٩)

٩ — \* بنصوص اخزانه سرفوها.

المشكلة نحوية في (٩) مردها الى سوء تطبيق قاعدة الاسقاط، حيث يجب أن يشتق من (٧) وهذا يعني أن القاعدة تطبق على الفاعل ولا ثم على المعون به وربما كان من العسير على قراء ممن تعورهم الخبرة السابقة بنظام شومسكي ونحوه التحويل أن يابعوا مرحل الاشتقاق هذه لجملة واحدة، ولكن أغلب الظن أن القارئ اكتسب حتى هذه المرحلة فهما كافيا بطريقة التي صيغ بها هذا النحو وكيف يطبق مما يساعده في متابعة بعض النقاط هامة الأخرى التي سنعرضها في هذا الفصل والمصوب اللاحقة ولعل من المفيد في هذه المرحلة من مناقشة النحو التحويلي أن نقدم رسما توضيحيا يبين كيف تمت عملية بناءه كما وردت في البنى النحوية



والعنصر الابتدائي يشكل (الدخل input) الى النحو (كما ذكرنا في الفصل السابق) وهو يولد مجموعة من الاشارات (العميقة deep sign) بواسطة (قواعد بنية العبارات phrase structure rules) كما يرى في المستطيل الأول أما المستطيل الثاني فمرى فيه مجموعة من القواعد التحويلية transformational rules، بعضها اجارى وبعضها اختياري وهي تعمل على سلاسل عميقة سواء أكانت مفردة أم روجية وبعد أن تعدل هذه السلاسل وما يتعلق بها من واسمات العبارات phrase markers تعديلا تدريجيا فـ٣ تعطي نتائج المطبوعة وهي مجموعة حتم الموحودة في اسعة دون غيرها وتمثل هذه سلاسل من الكلمات والمورفيمات وكل سلسلة منها مكونات لبيتها المشتقة derived constituent structure أما المستطيل الثالث فيحول جملة من بنية نحوية (ممثلة بالكلمات والمورفيمات) الى شكل صوتي ممثل بسلسلة من صوتيات phonemes (أي

الواحدات الصوتية المميزة في اللغة). وبدلك يصل بين مستوي التحليل اللذين ذكرناهما في الفصل الأول تحت عنوان (ثنائية البنية duality structure).

ونبعا لأنموذج النحو التوليدي هذا، فإنه يمكن تحليل أشكال شتى من الجملة البسيطة بواسطة قاعدة تحويلية اختيارية، فجميع الأمثلة الآتية ترتبط ببعضها البعض لأنها مشتقة جميعا من بنية تحتية (عميقة deep structure) مشتركة :

١٠ — فتح الرجل الباب.

١١ — لم يفتح الرجل الباب.

١٢ — هل فتح الرجل الباب؟

١٣ — أم يفتح الرجل الباب؟

١٤ — الرجل فتح الباب.

١٥ — الباب فتحه الرجل.

وتختلف الأمثلة السابقة (١٠ — ١٥) عن بعضها بعضا في أن الجملة (١٠) لم تطبق على بينها العميقة أية قاعدة تحويلية اختيارية، بينما يرى أن (١١) هي نتيجة لقاعدة (نفي) وأن (١٢) نتيجة لقاعدة (الاستفهام). أما (١٣) فهي نتيجة لقاعدتين معا أي النفي والاستفهام، كما يرى في (١٤) أن قاعدة الاسقاط أو (التبادل) هي المسؤولة عن تقديم الفاعل المطلقى على الفعل، في حين أن نفس القاعدة ولدت (١٥) بتقديم المفعول به أن بداية الجملة ووضعها (إعناء) المتصلة بالفعل (فتح) مكان المفعول به الأصلي والجملة (١٠) فقط دون غيرها من الأمثلة الباقية (١٢ — ١٥) هي ما يسميه تشومسكي (بالجملة النواة kernel sentence) لأنها جملة اخبارية بسيطة فعلها مبني للمعنوم ولكن عليها أن تؤكد أن الحمل التي لا تحمل صفة (النواة) (١٢ — ١٥) ليست مشتقة من حمل (نوى) مثل (١٠) ولكنها مشتقة من سلسلة عميقة مشتركة فيما بينها. وهذا يعني أن جميع الحمل دون استثناء تخضع لتطبيق ولو عدد قليل من القواعد

التحويلية الاجبارية<sup>(١)</sup>. أما الجمل المركبة أى المعطوفة compound كقولنا :

— فتح الرجل الباب ومشى الى النافذة

أو الجمل المعقدة complex التي تحوى ما يسمى بالتضمين embedding كقولنا :

— ألقى رئيس الوفد الذى وصل يوم أمس كلمة في الاجتماع.

فتولد بواسطة قاعدتين محويتين هما (العطف coordination) و (التضمين embedding). وتشكل هاتان القاعدتان مجموعة التحويلات المعممة في البنى النحوية

حيث تعطل وجود بعض التراكيب متوالية التطبيق recursive كما في هذين المثالين :

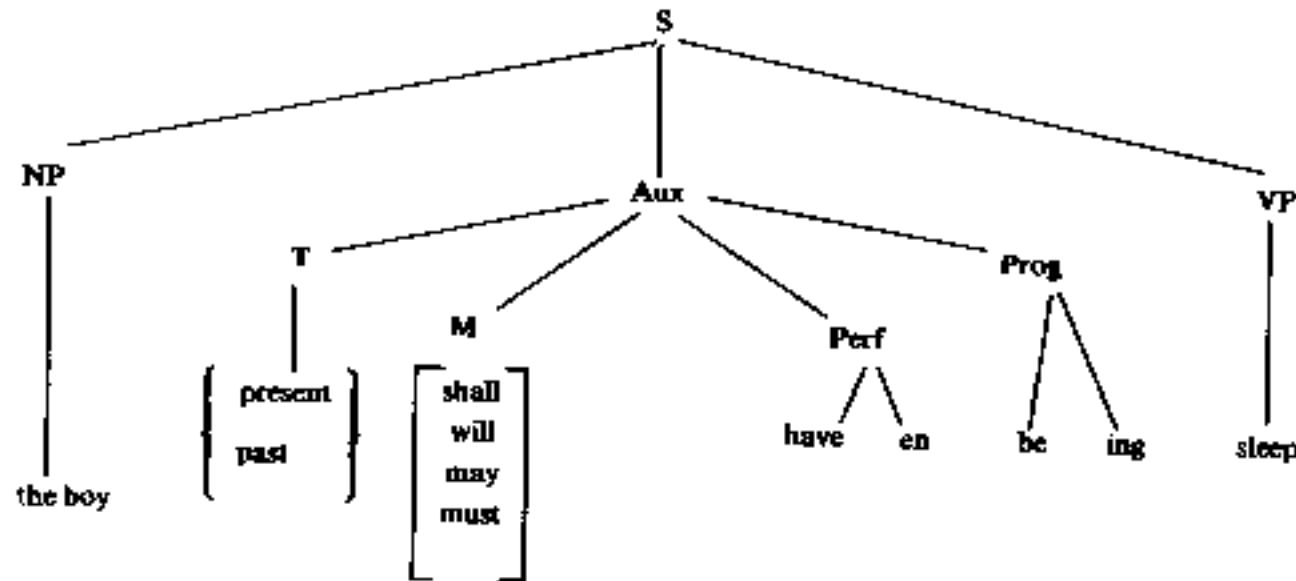
١ — [هذا هو العجور [الذي يسكن في البيت [الذي بناه أبوه]]]

٢ — أعطني علة كبيرة قوية وحصراء.

وبديهي أن نكون هذه التحويلات المعممة اختيارية وليست اجبارية

هذا يكون قد عرصنا ملخصا للنحو التحويلي كما قدمه تشومسكي في البنى النحوية والذي يقول ان من مميزات هذا النظام — وهو النموذج الثالث والأقوى من أساليب وصف اللغة — أنه يستطيع أن يعلل أنواعا معينة من اللبس (العموص) البسيوى structural ambiguity بصورة أفصل من نحو بنية العبارات ولنظر الى المثال التالي:

(١) يهرب تشومسكي مثلا على هذا ما يسمى بقاعده (نقل الملحقات affix hopping) التي تطبق على سلسلة من تعديلات العنصر المساعد auxiliary الخاصص للعنصر (S).



في الشكل السابق يظهر العنصر (-en) ان العنصر المحلور نحو الجير فاد كان (be) أصبح (been)، وكذلك يظهر العنصر

(-ing) ان الفعل المحلور فاد كان (sleep) أصبح (sleeping) وهكذا وهذه الطريقة تكون الجملة

The boy may have been sleeping

٢٦ — أمر رجال الشرطة بإيقاف الاحتفال بعد منتصف الليل<sup>(١)</sup>.

لو أمعنا النظر في المثال السابق لوجدنا أن له في الحقيقة أكثر من تفسير واحد. ورغم أن القارئ يدرك لأول وهلة واحدا فقط من معانيه إلا أنه بمزيد من التركيز يمكنه أن يتبين التفسيرات الأخرى الممكنة وهي كما يلي :

١٧ — أمر رجال الشرطة بإيقاف (احتفال الناس) بعد منتصف الليل.

١٨ — أمر رجال الشرطة (بالتوقف) عن الاحتفال بعد منتصف الليل.

١٩ — أمر رجال الشرطة بعد منتصف الليل بأن يوقفوا الاحتفال.

٢٠ — أمر رجال الشرطة بإيقاف الاحتفال بعد أن ينتصف الليل.

وعلى الرغم من هذا اللبس البسيط الذي رأيناه في المثال السابق نرى أن التحليل إلى (المكونات المباشرة immediate constituent analysis) لا يعطينا سوى أنموذج واحد للحالات الأربع ويتعطل في الشكل<sup>(٢)</sup>:

(١) هذا المثال هو من الأمثلة التي أتى بها تشومسكي، وقد أوردته لترجم بنلا من المثال الذي ذكره المؤلف (فيروز) لأنه يلام عليه أكثر

(٢) يمكن تمثيل الجملة نفسها بالطريقة التالية :

أمر	رجال الشرطة	بإيقاف	الاحتفال	بعد	منتصف	الليل
	رجال الشرطة	بإيقاف	الاحتفال	بعد	منتصف	الليل
		إيقاف	الاحتفال	بعد	منتصف	الليل
		إيقاف	الاحتفال	بعد	منتصف	الليل
			الاحتفال	بعد	منتصف	الليل
				بعد	منتصف	الليل
					منتصف	الليل

[أمر [رجال الشرطة [بإيقاف [الاحتفال [بعد منتصف الليل]]]

أى أن تحليل الجملة لا يتغير مهما اختلف تفسيرها لها وهذا مأخذ حطير على النحو المعيارى وعلى التحليل إلى المكونات المباشرة. أما في النحو التوليدي الذى جاء به تشومسكي فيعطي مثال المذكور أربع بني تحتية underlying مختلفة تلائم كلام التفسيرات المحتملة مما يضمن عدم ظهور أى لبس في التحليل. وحسب تحليل تشومسكي يمكننا أن نكتب البني التحتية الآتية لتلائم التفسيرات (١٧ - ٢٠) :

أ - تر/اس أمر رجال الشرطة [رجال الشرطة يوقفون الناس عن الاحتفال]]

بعد منتصف الليل]]]

ب - [تر/اس أمر رجال الشرطة [رجال الشرطة يتوقفون عن الاحتفال]]

بعد منتصف الليل]]]

ج - [تر/اس أمر رجال الشرطة بعد منتصف الليل] رجال الشرطة يوقفون

[الاحتفال]]

د - [تر/اس أمر رجال الشرطة] رجال الشرطة يوقفون الاحتفال

وهذا يستطيع النحو التحويلي أن يعيد حالات اللبس المماثلة بطريقة أفضل من أى نحو آخر ولنصرب أمثلة أخرى فيها لبس لعوى :

٢١ - سمعوه من الأعلى

٢٢ - النساء والرجال المسنون سريعو التعب

بقليل من التركيز يستطيع القارئ أن يكتشف أن للمثال (٢١) تفسيرين اثنين هما

أ - كان هو في الأعلى عندما سمعوه

ب - كانوا هم في الأعلى عندما سمعوه

وكذلك الأمر بالنسبة للمثال (٢٢) الذى تقدم شرحه في الفصل السابق

ويعتمد التفسير التحويلي لللبس البيوى على تطبيق قواعد تحويلية اختيارية كما يتفق مع المبدأ العام اندى يعتبر من المسلمات في دراسة أى نظام للتخاطب، وهو أن تفسير معنى يشمل عنصر الاختيار، وعندها أن نتذكر دوماً أن هذا المبدأ يقرر أن اختيار احتمال معين بدلاً من آخر هو شرط ضرورى ولكنه لا يكفي لتعبير عن التباين في المعنى. وبوسعنا أن نوضح هذا المبدأ أكثر عندما نختار كلمة معينة من مجموعة الكلمات التي

تستطيع أن تملأ موقعا معينا من جملة ما، ونسظر الى هذه الأمثلة :

٢٣ — اشترى الرجل كتابا

٢٤ — اشترى الرجل صحيفة.

أما هنا فإننا معيرون باختيار مجموعة مختلفة من القواعد (تطبيق هذه القواعد بعضها ولكن بترتيب مختلف) عدد توليد جملتين أو أكثر من بنية تحتية واحدة. ولقد ذكرت مسبقا أن (الاحتيار) بهذا المعنى لا يشكل شرطا كافيا لوجود تباين في معني الجمل الناتجة. فلو قلنا

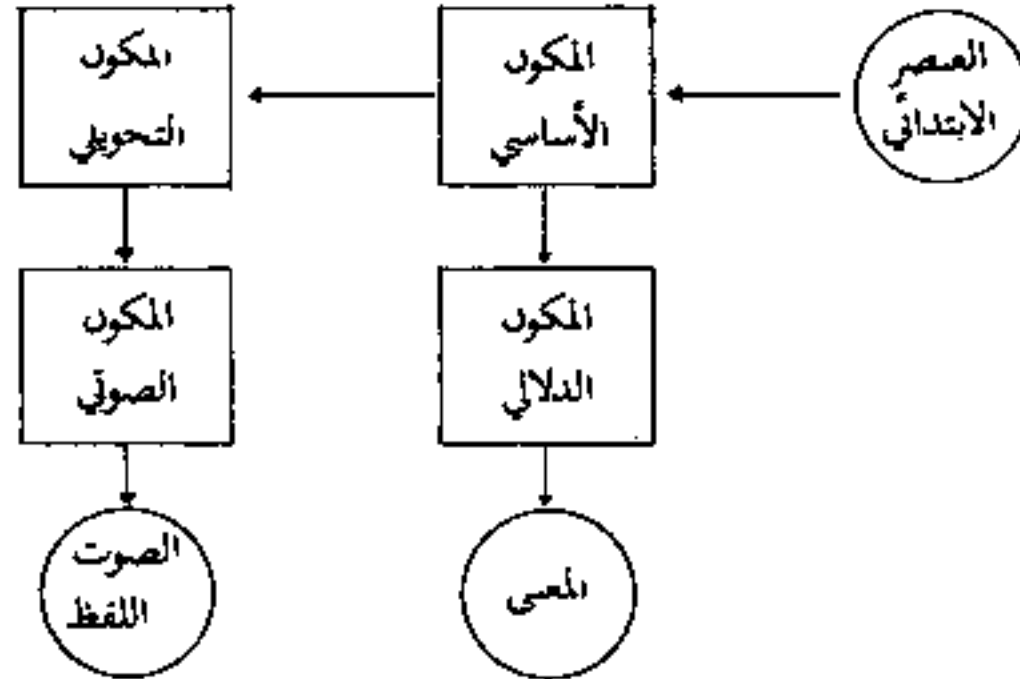
٢٥ — سافر أحمد يوم أمس الى فرنسا.

أو قلنا

٢٦ — سافر أحمد الى فرنسا يوم أمس.

لكان الفرق بين المثالين هو تطبيق قاعدة تحويلية واختيارية في الحالة الأولى — وهي التي تقدم طرف الزمان time adverbial (يوم أمس) على الجار والمجرور (الى فرنسا). وهاتان الجملتان هما في واقع الأمر متماثلتان في المعنى. أما القاعدة التحويلية التي أدت الى اختلاف شكلها فيمكن نعتها بأنها مجرد قاعدة (اسلوبية stylistic) .

وفي عام ١٩٦٥ وضع تشومسكي في كتابه عناصر نظرية النحو Aspects of the Theory of Syntax نظرية أعم وأشمل في النحو التحويلي تختلف عن نظريته السابقة في عدد من النواحي الهامة ولكنها سنكتفي هنا بذكر الفوارق العريضة بين النموذج النحو الذي ورد في البنى النحوية وما يسمى بنحو (العناصر) (نسبة الى الكتاب الثاني) Aspects. والشكل التالي يوضح النظرية الجديدة واحتلافها عن سابقتها :



أن أهم الفوارق بين النموذجي النحو الممثلين في البنى النحوية والعناصر كما يتضح من الشكليات السابقين هو وجود مستطيل اضافي يصم (المكون اللدالي). وقد ذكر تشومسكي في البنى النحوية أنه على الرغم من عدم وجود علاقة مباشرة بين الاعتبارات الدلالية والوصف النحوي للجملة فإن هناك نقاط التقاء بين التراكيب والعناصر المكشوفة في التحليل النحوي الشكلي والوظائف الدلالية المحددة، وأنا بعد أن حددنا البنية النحوية للغة نستطيع أن ندرس طريقة استعمال هذه البنية النحوية في وظيفة اللغة العملية. وبعد ظهور البنى النحوية بعدة سنوات حلص تشومسكي ومعاونوه إلى نتيجة مفادها أن معاني الجمال يمكن أن تخضع (بل يجب أن تخضع) لنفس التحليل الشكلي الدقيق الذي يطبق على بنية النحوية، ويجب أن يُدخل الجانب الدلالي باعتباره جزءاً لا يتجزأ من التحليل النحوي. ويظهر تشومسكي الآن إلى النحو على أنه نظام من القواعد التي تربط معنى (أو معاني) كل جملة تولدها بالشكل العرنياني للجملة وهو الصوت.

وعلى الرغم من أن النحو في كلا الكتاين العناصر والبنى النحوية ينقسم إلى قسمين، إلا أن المكونين التحوين يعملان بصورة مختلفة نوعاً ما. فالاختيار الدلالي المطلوب بما في ذلك امكانية تشكيل التراكيب المتوالية تم الآن في أساس النحو base (الذي يقابل البنية الأولية في النظام السابق) بدلاً من أن تتم في المكون الدلالي. وباء على ذلك فإن الفرق بين جملة اجبارية وأخرى استهامية أو بين جملة فعلها مبني للمجهول وأخرى فعلها مبني للمعلوم لم يعد يتحدد بواسطة تحويلات اختيارية بل يتحدد تبعاً للاختيار الذي نمارسه عند تطبيق قواعد الأساس base rules .

وتولد قواعد الأساس عدداً لا حصر له من البنى التحتية أو العميقة underlying deep structures لجميع الجمال الموصوفة بهذا النظام، وتتحول هذه البنى التحتية إلى مشتقة derived بفضل القواعد التحويلية وأغلبها (فيما عدا القواعد الاسلوية stylistic rules) هي الآن اجبارية. ويستمد المعنى بشكل أساسي (ان لم نقل بشكل كامل) من البنية العميقة بواسطة قواعد التفسير الدلالي semantic interpretation كما يستمد التمثيل الصوتي (أي اللفظ) لكل جملة وتحويلها إلى إشارة صوتية مسموعة من بينها السطحية بواسطة قواعد النظام الصوتي phonological rules .

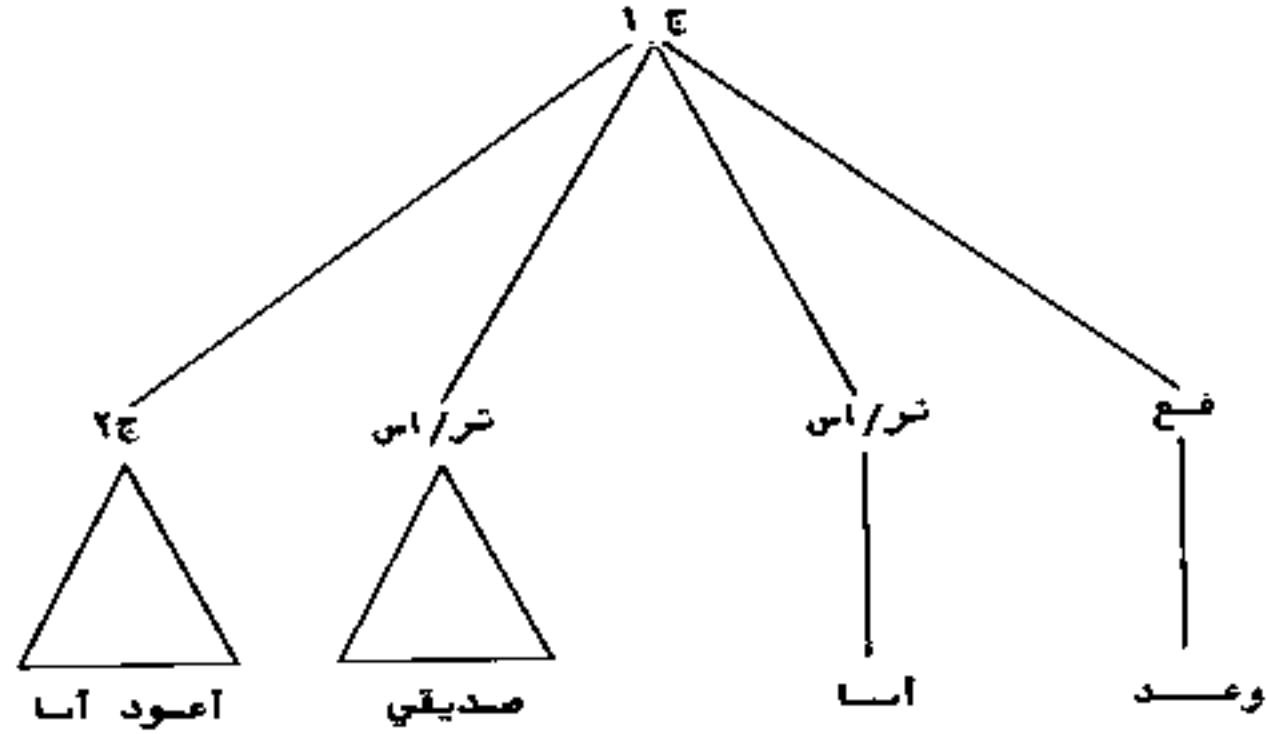
ولا يريد أن نغوص في تفاصيل ما يميز النحو الذي جاء في كتاب العناصر عن النظام المشابه في البنى النحوية. وكل ما نرغب في اضافته إلى هذا العرض لخصائص النسخة الحديثة من النحو التحويلي هو أن المفاهيم النحوية المختلفة ذات المضامين

الدلالة تحدد الآن وبوضوح في ضوء العلاقات القائمة في السية العميقة. (أنى نشومسكي على ذكر هذه الفكرة بشكل عابر في الهني النحوية) ولنا أن نلاحظ على وجه الخصوص الفرق بين الفاعل المنطقي (السية العميقة) والفاعل السحوى (السية السطحية) الجملة ما. فالفاعل المنطقي هو الذى يخضع مباشرة للمصدر (ح) أى (الجملة) في السية العميقة، بينما نجد أن الفاعل السحوى ربما يختلف مكانه في السية السطحية. ولندرس هذين المثالين :

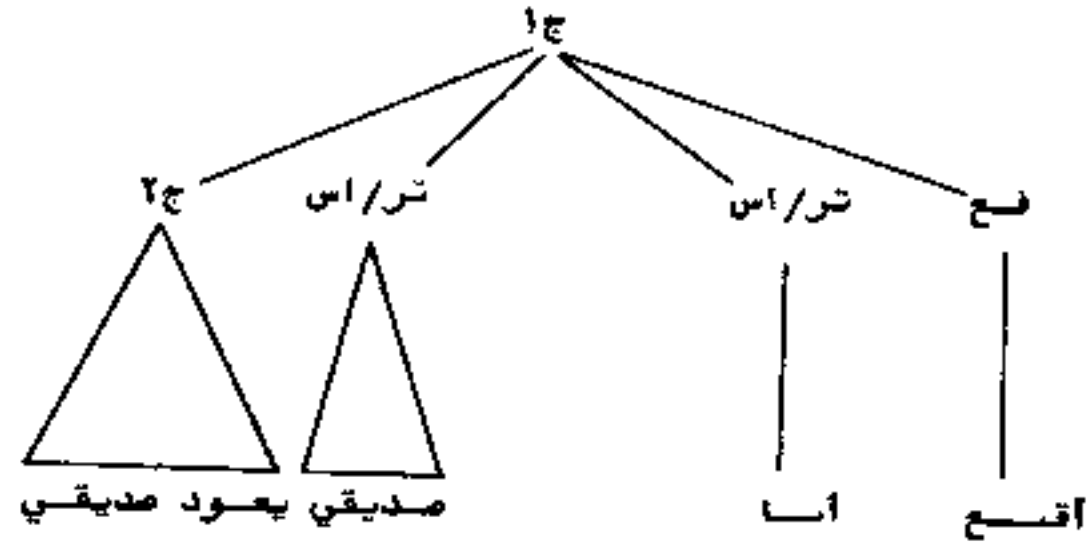
١ — وعدت صديقي بالعودة.

٢ — أقمت صديقي بالعودة

يلو لنا أن لهدين المثالين بية سطحية واحدة، إلا أن لهما بيتين عميقتين مختلفتين. هي المثال الأول نجد أن الفاعل الحقيقي الذى يقوم بالعودة هو (أنا) بينما هو (صديقي) في المثال الثاني. وباء على ذلك فإن السحو التحويلي يعطي بيتين عميقتين مختلفتين لنفس السية السطحية للتصريق بين الفاعلين المختلفين



(ش ١)



(ش ٢)

وكما يقول تشومسكي، فإن العلاقات في البنية العميقة هي جوهرية من أجل الحصول على التفسير الصحيح للنجمة

## ٨ — المضامين النفسية

### للنحو التحويلي

ذكرت في الفصل الرابع أن تشومسكي كتب أولى مؤلفاته في إطار ما يعرف باللسانيات المستقلة، ولم يعالج اللسانيات كفرع من علم (النفس) المعرفي إلا في مؤلفاته الحديثة نسبياً وبذكر منها عناصر نظرية النحو، واللسانيات الديكارتية Cartesian Linguistics واللغة والفكر وفيها يؤكد تشومسكي أهمية النحو التوليدي في دراسة العقل البشري وخصائصه واتجاهاته وكما ذكرت في المقدمة، فإن شهرة تشومسكي الآن تعود إلى آرائه الحديثة هذه أي ما قدمه من الأعمال التكميلية في اللسانيات كعلم قائم بذاته ولهذا فإننا سنكرس الفصلين التاليين مناقشة آراء تشومسكي الحديثة حول المسائل الفلسفية والنفسية وسنقسم المادة إلى جزأين . (علم النفس) و (الفلسفة).

على الرغم من أن نظرية تشومسكي في البنى النحوية كما يعرضها بنفسه لا تتميز عن نظره بنومينال واتباعه من التجريبيين، إلا أن هناك نقطة خلاف بينهما استمرت منذ البداية وحتى الآن (ولا نقصد هنا رفض تشومسكي لفكرة الاكتشاف discovery واستبدالها بفكرة «التقييم evaluation» فتلث المسألة التي ناقشناها في فصل سابق مستقبة عن الموقف التجريبي رغم أهميتها في تطور اللسانيات في فترة ما بعد الحرب) فيلومفيلد كما سبق ورأيها كان سلوكياً صريحاً behaviourist عندما نشر كتابه اللغة Language، كما شاركه العديد من أتباعه اعتقاده بأن التفسير الميكانيكي mechanistic لغة في ضوء الحافز والاستجابة هو أكثر موضوعية وعلمية من الوصف العقلي التقليدي للغة باعتبارها وسيلة للتعبير عن الفكر وفي نفس السنة التي شهدت نشر البنى النحوية ظهر كتاب آخر بعنوان السلوك الكلامي Verbal Behaviour مؤلف ب.ف. سكوير B.F Skinner والذي تولى تشومسكي مراجعته في وقت لاحق ويعتبر سكوير — وهو استاذ علم النفس في جامعة هارفرد — من أبرز دعاة علم النفس السلوكي وأقواهم في الوقت الحاضر، كما يعتبر كتابه أهم محاولة بدت حتى الآن من ناحية الاهتمام بتفاصيل اكتساب اللغة ضمن إطار نظرية التعلم السلوكية ونقد أصبح مراجعة تشومسكي لكتاب سكوير عملاً حالداً حيث لا يكتفي تشومسكي بإحصاء الكتاب للتمحيص الدقيق بل يظهر كذلك تمكنه من موضوعات علم النفس

## منظروحة على بساط البحث

ونقد كثر تشومسكي مآخذه على الفلسفة السلوكية في مناسبات عدة وبوصف أن نحصل آراءه فيما يلي : أن ميزة الابداع والتجديد هي أهم خصائص اللغة فالطفل عندما يلعب الخامسة أو السادسة يستطيع أن يؤلف وأن يفهم عدداً غير محدود من الجمل التي لم يتعرض لها من قبل. (ونظرية التعلم) السلوكية — مهما أُنصبت من النجاح في تفسير بطريقة التي تنبئ بحجتها بعض شبكات (العادات habits) والنداعي الفكري associations من خلال التمدح السلوكية عند الإنسان والحيوان، إنما هي عاجزة عن تفسير ميزة الابداع، وهي عنصر من عناصر السلوك الإنساني التي تكون على أشدها في ظاهرة لغة بالأضافة أن بعض النواحي الأخرى ويقرب تشومسكي أن مصطلحات الفلسفة السلوكية مثل (الخافز stimulus والاستجابة response والعادة habit والتأقلم conditioning والتعزيز reinforcement) رغم دقتها العالية التي تظهر عند تطبيقها على نطاق ضيق، فإنها في ميدان اللغة لا تعدو كونها مجرد مصطلحات سائبة قد تنصم أي شيء، الأمر الذي يبعدها عن المحتوى التحريبي. ونظراً لعدم توفر أية «استجابة صريحة overt response» فإن السلوكيين يلجأون إلى ما يدعونه بالبرعة أو الميل disposition غير منظور نحو الاستجابة وبعد أن يعمل السلوكيون ارتباط مصطلحات مثل (الاستجابة) بأشياء أخرى «كأخوافز stimuli» وتعلم عدد محدود من الجمل بطريقة ذاتها فإن مجدهم ينتزمون الصمت أراء ظاهرة المقطرة على تشكيل حمل جديد أو رعا براهم يتجاوز عد ذلك إلى فكرة مبهمة هي فكرة «التقياس analogy» أن نقاط التقاء التي وجهها تشومسكي إلى السلوكيين لها دور شئ ما يبررها إلا أن هذا لا يعني (وكما أعلم فإن تشومسكي لم يكن يعني ذلك أيضاً) أن ليس ثمة عناصر في اللغة يمكن تفسيرها في ضوء نظرية «الخافز والاستجابة» فبما لاشت فيه أن تفسير اكتساب اللغة عند السلوكيين في صيغته الحالية يعجز عن معالجة مشكلة «الابداع creativity» التي طرحها تشومسكي ناهيك عن إيجاد الحل لها

ولا يُعدُّ النحو التحويي لدى قدمه تشومسكي بصيغته البدائية والخاصة نموذجاً نسبياً لنظرية التي يؤلف بها الناس الجمل ويفهمونها، فالنحو في أية لغة كما يره تشومسكي إنما هو وصف مثالي «للمقدرة النوعية competence» التي يمتلكها من يتحدث بها كما يعني على أي نموذج نصي يعالج الطريقة التي توضع بها تلك المقدرة موضع «الممارسة الفعلية performance» أن يأخذ في الحسبان عدداً من الحقائق الأخرى التي يعتمد اللغويون نجاحها عند تعريفهم لمفهوم النحو grammaticality

وتشمل الحقائق النفسية التي نتحدث عنها قصور الذاكرة وضعف الانتباه كما تشمل الزمن المطلوب لوصول الاشارات العصبية *neural signals* وانتقالها من الدماغ الى العضلات المسؤولة عن الكلام وما يصحب هذه كله من تداخل بين العمليات الفيزيولوجية والنفسية الخ. فكثير من الجمل التي يعتبرها النحاة سليمة لغويا *grammatical* (أي سليمة البنية من حيث القواعد الموضوعية لوصف المقدرة اللغوية عند المتكلم المثالي *ideal native speaker*) ليس لها وجود في الحالات الطبيعية وعلى افتراض أنه تم تأليف مثل هذه الجمل عن عمد بهدف اجراء تجربة لغوية ما فلا بد لها من أن تكون صعبة وقد تستعصى على الفهم بسبب عجزنا عن تحليلها قبل أن نحمل الآليات النفسية المختلفة والمسؤولة عن تلقي الكلام وفهمه أكثر من طاقتها الفعلية، وهذا هو أحد الجوانب التي نلمس فيها ولأسباب نفسية، تباها بين الكلام الفعلي *utterances* والجمل التي يطلق عليها اللغويون صفة (التحوية) وثمة فرق آخر طالما أكدته تشومسكي في كتاباته وهو أن الكلام الفعلي فيه كثير من الأخطاء والتشويه، منها مثلا (سوء النطق أو التردد أو تغير التركيب قبل انتهاء الجملة الخ) وهذه الأخطاء مردها الى حل في أداء الجهاز النمائي المعني أو الى قصور ذاتي فيه. وتشكل هذه الانحرافات عن النظم الحوية جزءا قيما من المعلومات بالنسبة لعلماء النفس، فإذا ما تم تحليلها بصورة مناسبة استدلوا منها على بنية اللغة وكيفية عمل الآليات الكامنة *underlying mechanisms* وراء استعمالها.

ومع اختلاف وجهات النظر بين اللسانيات وعلم النفس فيما يتعلق بالأبحاث اللغوية، يصير تشومسكي على وجود روابط هامة بينهما وإذا رأينا الآن يصف اللسانيات على أنها فرع من فروع علم النفس بدلا من أن تكون علما قائما بذاته فإنه لا يقصد بذلك أن يتحول البحث في «اللغة» الى البحث في «استعمال اللغة» أي من «المقدرة اللغوية *competence*» الى «الممارسة اللغوية *performance*» وكل ما يقوله تشومسكي هو أن أهم ما في دراسة اللغة دراسة علمية — ولا سيما في النحو التوليدي — هو ما تقدمه بالنسبة لأدراكنا للعمليات الذهنية. ولذلك فإن احتواء علم النفس للسانيات لا يرجع إلى أي معبر ملموس سواء في المادة أم الأسلوب، بل يرجع إلى أهمية النتائج التي تتمحص عنه على المدى البعيد، وحتى اتجاه تشومسكي في أعماله الأخيرة نحو الحدث اللغوي المفطري *intuitions* (والذي كثيرا ما أسيء فهمه) ممكن أن يفسر في هذا الإطار أيضا وفي اعتقاده فإنه من المحتمل أن يكون نوعان من النحو ملائمين من الناحية الشكلية، الظاهرية (*observationally adequate*) وصعبي التعادل، إذا كانا قادرين على توليد نفس المجموعة من الجمل. لكن أحدهما يصبح أكثر ملاءمة من الآخر

من الناحية الوصفية اذا كان يتفق مع الحدس اللغوي الفطري للمتكلم وذلك فيما يخص قضايا اللبس البيوي والتراؤف أو الاختلاف في معنى بعض أنواع الحمل. وهذه المصطلحات هي المستخدمة في عناصر نظرية النحو وفي بعض الأعمال اللاحقة، فالاختلاف في المصطلحات ذو دلالة هامة حيث يبين أن الحدس اللغوي الفطري (أي تمثل المتكلم لقواعد النحوية) بالنسبة لتشومسكي هو الموضوع الحقيقي للوصف وليس الحمل في حد ذاتها. وقد أكد تشومسكي من قبل — كما رأينا في الفصل الرابع — على مفهوم البساطة simplicity باعتبارها مقياساً لتقييم أنواع النحو ضعيفة التعادل weakly equivalent ولدى مناقشته لآراء المتكلمين فيما يتعلق بالقضايا اللغوية مثل اللبس البيوي، لم يشر تشومسكي إلى أن لتلك الآراء أو (الأحاسيس اللغوية) مكانة أولى، فقد كانت تدل على فهم المُعَلِّم (informant) <sup>(١)</sup> لبنية اللغة دون أن تؤلف في حد ذاتها المادة التي نعالجها اللسانية. ويعتقد أحياناً أن اتجاه تشومسكي نحو الحدس اللغوي (بما في ذلك حدس الباحث اللغوي نفسه بالنسبة لبعته الأم) يبطئ على بعض التراخي في معايير الدقة والموضوعية التي تميزت بها اللسانيات البلومفيلدية وبعض الأساليب الحديثة الأخرى لكن هذا مضاف للحقيقة، حيث أن تشومسكي لا يدعي أن من السهل الوصول إلى حدس المتكلم مباشرة ولا يقول انه يمكن الاعتماد على الأحكام الصادرة عن الحدس اللغوي الفطري. وثمة نقطة لا تزال موضع جدل كبير وهي أن بعض الأعمال التي نشرت على موان أهداف النظرية اللغوية التي صاغها تشومسكي ترتكز إلى التسليم الكامل بالحدس اللغوي لدى واحد من علماء اللسانيات دون غيره، كما أن سؤال حول ما اذا كانت حملة ما مقبولة أو مرادفة جملة أخرى بالاضافة إلى كل ما تحمله من مضامين دلالية (وهذا يسرى على جميع الأسئلة الأخرى المشابهة التي تدخل في نطاق الحدس اللغوي حسبما يفهمه تشومسكي) يتخضع لتحقيق التحريبي.

وقد اشترك تشومسكي منذ عام ١٩٥٨ مع عالم النفس جورج ميلر G Miller بكتابة مقالة بعنوان اللغات ذات المواقع المحدودة Finite State Languages كما ساهم الاثنان معاً عام ١٩٦٣ في كتابة فصلين من كتاب علم النفس الرياضي <sup>(٢)</sup> Handbook of Mathematical Psychology الذي يحتوي في أحد فصوله التي كتبها تشومسكي وميلر تحت عنوان نماذج خاصة من مستعملي اللغة Finitary Models of Language Users على رسم فيه شيء من التفصيل لمضامين النحو التوليدي بالنسبة للبحث في الآليات الكامنة خلف الممارسة اللغوية.

(١) المُعَلِّم هو الشخص الذي يساعد في تقديم المستندات اللغوية عند دراسته أية لغة طبيعية

وستنتج من برهان تشومسكي مباشرة أن نحو المواقع المحدودة عاجز عن توليد بعض الجمل سواء في اللغة الانكليزية أم في اللغات الأخرى، وأن ليس من أنموذج واحد من نماذج الممارسة اللغوية التي تقوم على مبدأ الاشتقاق من اليسار إلى اليمين<sup>(١)</sup> يستحق عناء البحث، ولهذا بوسعنا أن نستبعد جميع نظريات انتاج الكلام واستقباله التي تفترض أن احتمال ورود كلمة معينة في موقع معين يتحدد حصراً بالكلمات التي تم اختيارها لشغل المواقع التي سبقتها في الجملة، وربما يبدو من غير المعقول أن نحاول تحليل جملة مثل (كان الولد يركض) بأن نقول ان المتكلم اختار في البداية (كان) من مجموع الكلمات التي يمكنها احتلال الموقع الأول في الجملة، ثم انتقل بعد ذلك لاختيار كلمة (الولد) نظراً لأنها تصلح لشغل المكان الثاني بعد (كان) ومن ثم اختار (يركض) من مجموعة الاحتمالات الممكنة بعد (كان الولد) وهكذا وسواء أكانت هذه الفكرة معقولة أم لا — اد لا يمكن الاعتماد دائماً على بديهية المعقولة Common sense of plausibility فان هذا المفهوم لانتاج الكلام أدى الى العديد من البحوث النفسية (وما فيها بعض أعمال جورج ميلر الأولى) مع أن تشومسكي قد أثبت انحراف هذا الأسلوب بالرغم من دقة النظرية الاحصائية التي يعتمد عليها

أما الأنموذج الثاني الذي قدمه تشومسكي لوصف اللغة فهو نحو بنية العبارات phrase structure gr وهناك أنواع متعددة من نحو البنية — على عرار ما ذكرنا في الفصل السادس — يمكن أن تنشأ تبعاً للقيود المفروضة على شكل كل قاعدة أو طبيعتها. ومن الحقائق التي نغطي بالاهتمام — كما أثبت تشومسكي — أن أنواع نحو البنية «المستقلة عن السياق context free» تعادل من حيث قدرتها التوليدية ما يسمى بوسائل التحزين بالحشو push down storage «في نظرية الآلة automata theory» ومن العسير طبعاً أن نحوص في صلب هذه القصيدة بالغة التعقيد، لكننا نستطيع أن نتطرق إليها باختصار لعلنا نقدم أي القارئ فكرة موجزة عن نوع الخصائص المتعلقة بنماذج الممارسة اللغوية التي يمكن أن تطرح من خلال دراسة «الخصائص الشكلية formal properties للغة» والمقدرة التوليدية generative ability لأنواع معينة من النحو.

ذكرنا سابقاً أن للذاكرة البشرية — رغم صحامتها — قدرة محدودة على الاستيعاب، فهي تعمل وفق مبدأ الحشو أي أن آخر ما يدخل يكون أول ما يؤخذ، ولذلك فإنا نتذكر بسهولة وسرعة آخر ما احتزن في ذاكرتنا ومن المنطقي أن نعرض أن الذاكرة «بعيدة المدى — أو الدائمة» تحتوي على قدر أكبر من المعلومات مما فيها

(١) هنا في اللغة الانكليزية طبعاً (الترجم)

القواعد السحوية التي نستعمل عند تحليل «الكلام الفعلي utterances». لكن ما يعينا /  
 ها هو الذاكرة «قصيرة المدى short-term memory» — كما يسميها علماء النفس —  
 وهي التي نستعملها عندما نحفظ في ذاكرتنا (دون تعلم أو تكرار) قائمة بأشياء  
 منفصلة عن بعضها (كمقاطع أو أرقام لا معنى لها). وهناك قيود صارمة على استيعاب  
 الذاكرة قصيرة المدى نظراً لأن عدد العناصر التي يستطيع احتجازها في الذاكرة هو من  
 رتبة سبعة (سبعة رائد أو ناقص اثنين) كما يقول ميلر في عنوان إحدى مقالاته الشهيرة  
 وكل ما سبق عبارة عن معلومات أولية لها علاقة بالفرضية التي مسعرضها فيما يلي : إنها  
 فرضية «العمق depth theory» وقد وضعها قبل نحو عشرة أعوام<sup>(١)</sup> (فيكتور اينغف  
 Victor Yngve) وكان في ذلك الحين يبحث في مسألة التحليل النحوي بواسطة  
 الكمبيوتر. ولبدأ مثال مجرد من نحو النية الذي يحتوي على عدد من قواعد  
 المتواليات :<sup>(٢)</sup>

- ١ — أ ————— ← ب + ح
- ٢ — ب ————— ← (ب) + د
- ٣ — ب ————— ← هـ + (ب)
- ٤ — ب ————— ← و + (ب) + ي
- ٥ — ح ————— ← [ ج ، . . . ]
- ٦ — د ————— ← [ د . . . ]
- ٧ — هـ ————— ← [ هـ . . . . . ]
- ٨ — و ————— ← [ و . . . . . ]
- ٩ — ي ————— ← [ ي . . . . . ]

من الملاحظ أن القواعد ٢ ، ٣ ، ٤ هي قواعد متوالية (تكرارية) ولكن بطرق  
 مختلفة. فالقاعدة (٢) هي متوالية يمينية right recursive أما القاعدة (٣) فهي متوالية  
 يسارية left recursive أما القاعدة (٤) فهي دائرية التضمين self-embedding.

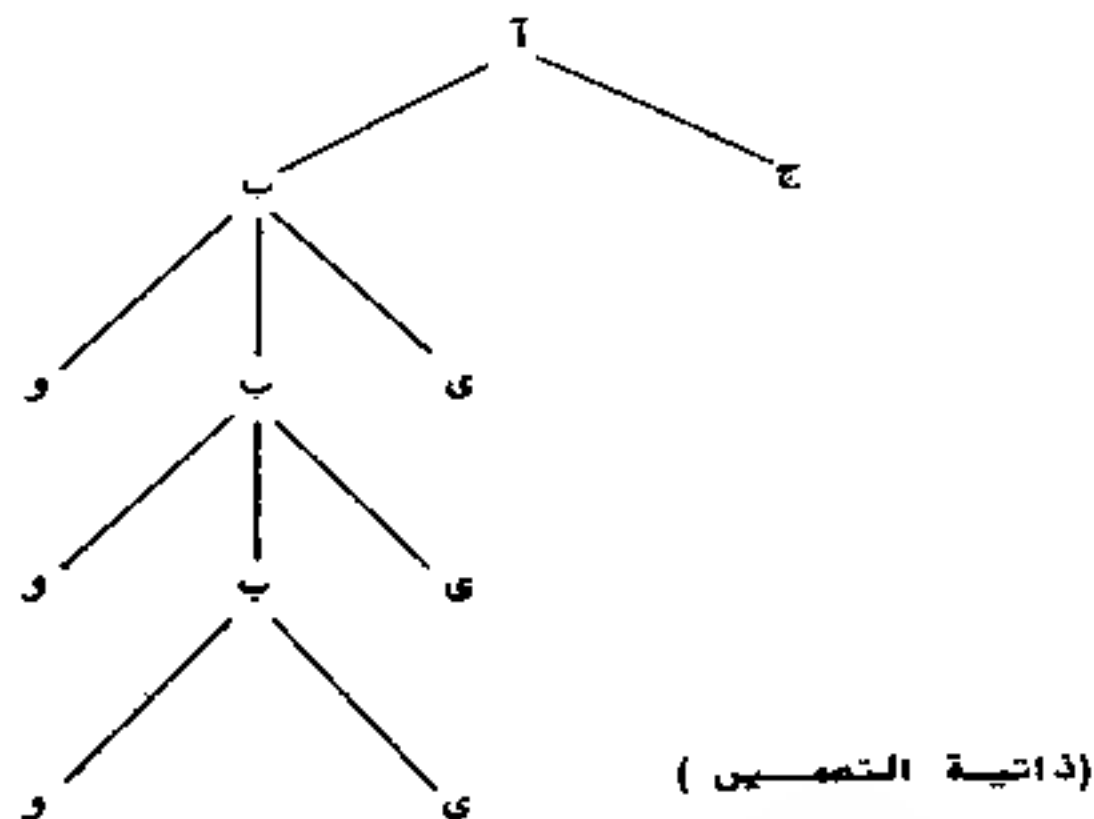
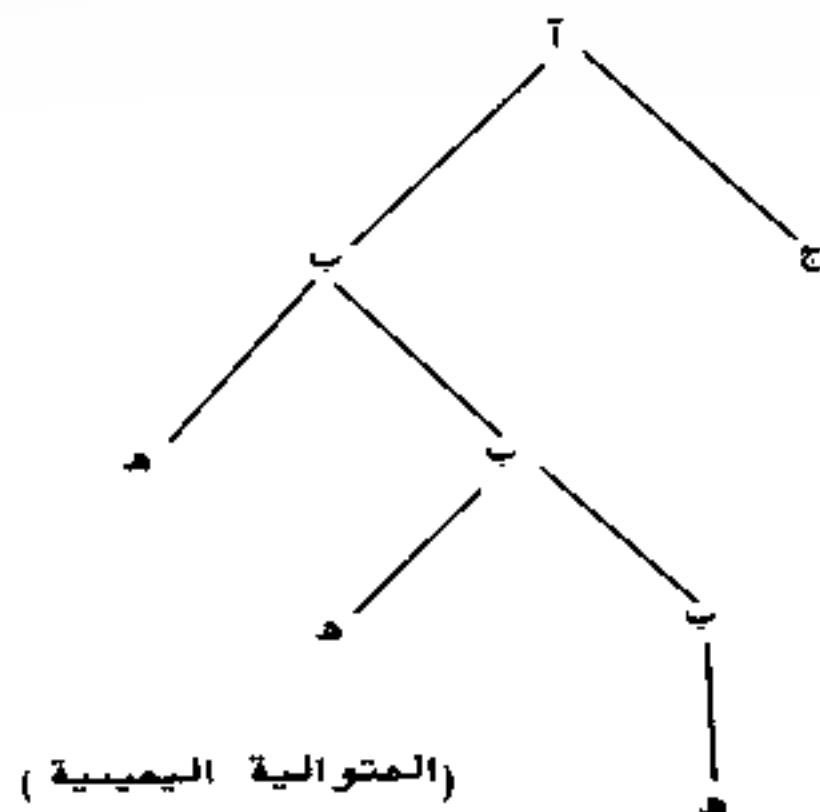
وحسب فرضية اينغف فإن التراكيب ذات المتواليات اليسارية<sup>(٣)</sup> تزيد من عمق  
 الجملة أو من تعقيدها النسبي لأن التوالي نحو اليسار — على عكس التوالي نحو اليمين —  
 يزيد من الفراغ الذي تحتاجه الذاكرة قصيرة المدى خلال تحليل الجملة. فإذا زاد عمق

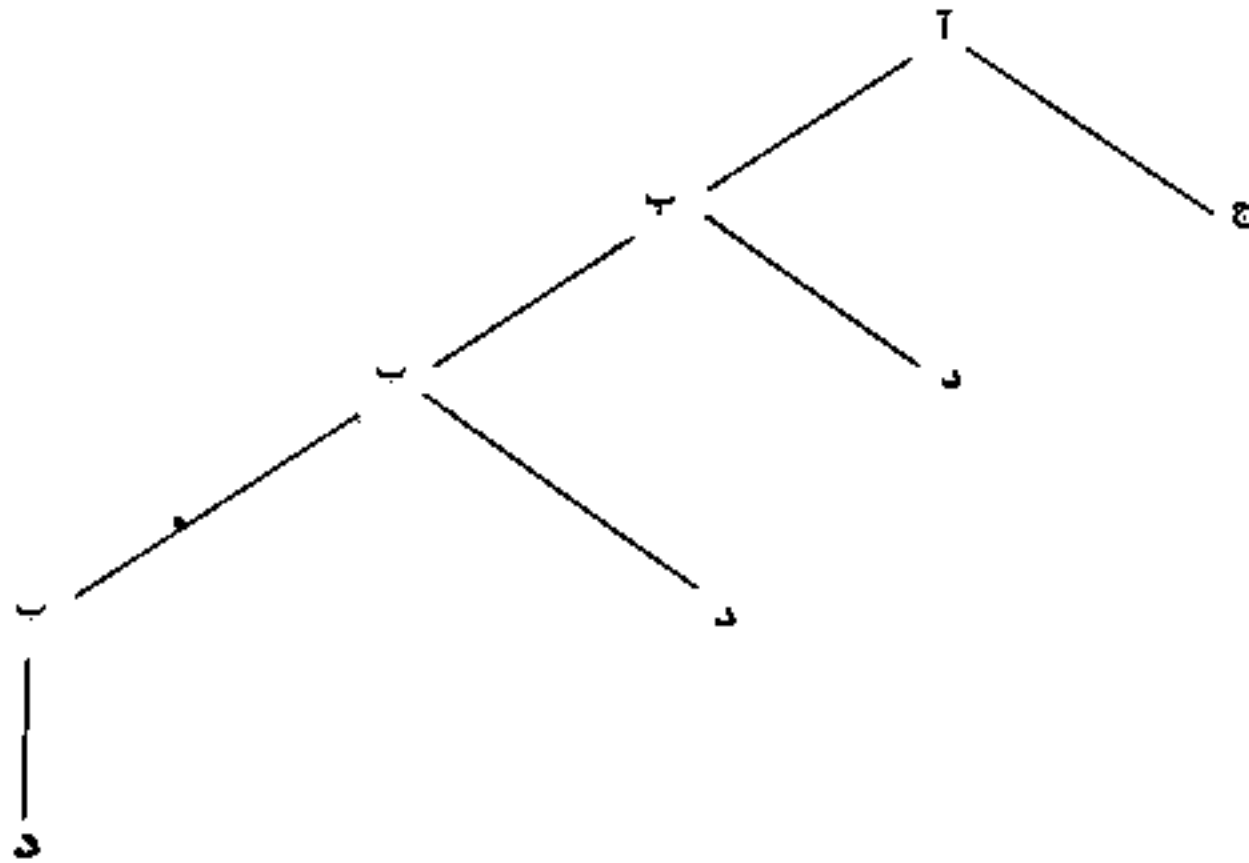
(١) من تجميع تأليف الكتاب عام ١٩٧٠

(٢) بخلاف الكيفية نزل على العناصر المساعدة والصحية نزل على العناصر النحوية

٣. في اللغة الانكليزية

الحملة عن الحد الحرج (الذي تحدده سعة الذاكرة) عندئذ يصبح استمراريتها متعده  
على الصعق. ومن دواعي وجود التحولات في اللغة كما يقول ايفف تمكين المنكمن من  
الابتعاد عن الاطراف في (التعميق) وذلك باستخدام تراكيب معادة ذات تعريعات بحمية  
بدلا من التراكيب ذات التعريعات اليسارية في نقاط معينة من تشكيل العمل





#### (المتوالية اليسارية)

وتبعاً هذه الفرصة فإن تركيا مثل [هذه هي] القطة التي اصطادت [العُار الذي سرق [الحبس الذي كان في الطبق]] بتفريعاته اليسارية أسهل تحليلاً من [[[القطة التي اصطادت العُار [الذي سرق الحبس [الذي كان في الطبق] المماثلة ودات التفريعات اليمينية . هذا ومن شبه المؤكد أن فرصة التعمق التي صاعها ايعف حاطة لأنها قائمة على افتراض أن الأساس يحلل الجملة بمس الطريقة التي تولدت بها في الكمبيوتر الذي استعمله أصف إلى ذلك أن من غير الواضح ما إذا كانت التراكيب دات التفريعات اليسارية أصعب بالنسبة لتحليل المتكلم كما يعني ها أن تكون حسب الفرصة المذكورة. ففي اللغة الانكليزية تراكيب متنوعة سواء أكانت من دوات التفريعات اليمينية أو اليسارية وربما كان هناك اتجاه عام كما يدعي ايعف لتجنب الإفراط في التعمق وذلك بالاستفادة من هذه الحقيقة. ولكن ثمة لغات أخرى بما فيها التركية واليابانية حيث التفريعات يسارية بشكل أساسي

وكما ذكر تشومسكي في مناقشته لفرصة ايعف فإن التراكيب ذاتية التصميم self embedding الملية في (الشكل ٣) هي التي تسبب أكبر قدر من الصعوبة، كما أن هذه لا يمكن تفسيرها في ضوء (نظرية التعمق) وأبسط مثال على التصميم قولنا (الكتاب

الذى تركه الرجل موجود على الطاولة)، فجملة (الرجل ترك الكتاب) متداخلة مع الجملة الأصلية (الكتاب موجود على الطاولة) وحاصصة بعدد من العمليات الأخرى بما فيها حذف (الكتاب) في الجملة المصممة وتبديله بالنصير المتصل (الماء) ثم اصافة الاسم الموصول (الذى) والجملة المعقدة الناتجة مقبولة تماماً في هذه الحالة، ولكن لدخل جملة مصممة أخرى في منتصف الجملة المصممة الأولى ولتكن مثلاً (الكتاب الذى تركه الرجل الذى رآه البستاني موجود على الطاولة) أو نصع كذلك جملة مصممة أخرى داخل (البستاني رأى الرجل) بحيث تولد (الكتاب الذى تركه الرجل الذى رآه البستاني الذى وظفته بالأمس هو على الطاولة) فنترك بالتأكيد أن النتيجة غير مقبولة وعلى الرغم من بساطة عملية التصميم embedding من حيث الشكل فإن في مثل هذه الجمل صعوبة لا يمكن انكارها في عملية التحليل سواء في النطق أو في السماع أما تفسير هذا في رأي تشومسكي فلا يرجع الى وجود حدود صارمة في الذاكرة قصيرة الأجل فحسب (مع أن هذا بلا شك أحد العناصر المسببة) لأن الحمل التي تشتمل على التصميم يصعب تحليلها أكثر من التراكيب الأخرى التي يشتقها بوضع العصر المصنوع في المنتصف بدلاً من اليمين أو اليسار بالنسبة لمجموعة ما. وبعبارة أخرى فإن جميع التراكيب التي تولدها قاعدة من النوع

من ————— ع + (ص) + هـ

حيث (ع) و (ص) مجموعات تتألف من كلمة فأكثر، تتضمن احتراز (هـ) مؤقتاً عندما تكون (ص) حاصصة للتحليل وتحصل على التصميم الذاتي self embedding عندما تكون لقاعدة ما ميزة اضافية وهي أن تأخذ «(س)» و (ص) نفس القيمة كما في القاعدة (٤) المذكورة أعلاه. ويبدو أن سمات (س) و (ص) تزيد من التعقيد سواء بالنسبة للإنتاج أم للاستيعاب production and comprehension ولقد قدم تشومسكي وميلر — فرصة تستطيع تفسير هذه الظاهرة من حيث المبدأ وتقول الفرضية أن الآلية النفسية الكامنة هي من النوع الذى لا تستطيع معه تنفيذ عملية معينة أو أنها تستطيع ذلك ولكن بصعوبة بالغة — إذا كانت مشغلة من قبل في تنفيذ نفس العملية. ويتضح من هذه المناقشة لفرضية العمق وفرضية تشومسكي حول التصميم الذاتي أن البحث في الخصائص الشكلية لسحو التحويل يمكنها أن تتحد مصامير ذات دلالة من أجل دراسة الآليات النفسية الكامنة وراء الممارسة اللغوية. وأخيراً سنطرق باختصار الى عدد من التجارب النفسية المستوحاه من السحو التحويلي.

رأياً في الفصل السابق أن الطريقة التي عالج بها تشومسكي العلاقة بين الحمل

المسبة للمجهول ونظيراتها المسبة للمعلوم والحمل المثبتة ونظيراتها المنفية، وكذلك بين الاستهامية والاختارية، كانت تتركز الى مجموعة من «القواعد التحويلية الاختيارية» وسما لهذا التحليل فان الحمل النواة kernel sentences (وهي الحمل البسيطة المثبتة والمسبة للمعلوم) كانت من ناحية عدد القواعد المطبقة أكثر بساطة من غيرها وكان من المعري أن يصرص أن الحمل النواة ليس أبسط من الوجهة اللغوية فحسب، ولكنها أكثر بساطة أيضاً من الناحية النفسية. وإذا افترضنا وجود علاقة وثيقة بين المقدرة والممارسة لاستطعنا أن نحري بعض التجارب التي ترمي الى اختبار مدى صلاحية العمليات التحويلية. ولقد كانت نتائج بعض التجارب الأولية مشجعة جداً حيث تبين أن الحمل المسبة للمعلوم أسهل للذاكرة من تلك المسبة للمجهول وأن الحمل المثبتة أسهل من المنفية. والأعرب من هذا، أنه تبين بنتيجة إحدى التجارب التي اعتمدت على الزمن اللازم للاستجابة لأنواع الحمل المختلفة أن زمن الكمون latency في حال الحمل المثبتة للمجهول ليس أطول منه في الحمل المسبة للمعلوم فحسب، بل ان الفارق في الكمون بين الحمل المثبتة المثبتة للمعلوم وبين نظيراتها المنفية والمثبتة للمجهول يساوي مجموع الفروق بين الحمل المثبتة المثبتة للمعلوم وبين المثبتة المثبتة للمجهول من جهة والفروق بين الحمل المثبتة المسبة للمعلوم والحمل المنفية المسبة للمعلوم من جهة أخرى ويمكننا أن نعتبر هذه النتيجة بمثابة برهان على الفرضية التي تقول ان تحليل الحمل يعطى على سلسلة من عمليات التحويل التي يستغرق كل منها ربما معينا.

الا أن هذه التجارب أفرعت من محتواها لأنها لم تأخذ بحسائها عددا من الاعتبارات التي لها علاقة بالموضوع. فنحن نصف الفارق بين المسبي للمعلوم والمسي للمجهول في اللغة الانكليزية ومن الواضح أن طبيعة ملائمة أحدهما للاستعمال بدلا من الآخر تعتمد على نوع التركيب الاسمي أو الأسماء التي تحتل مركز الفاعل المنطقي «المسند اليه» أو المفعول المنطقي في بنية الجملة التحية — أي نكرة أم معرفة — هل تعود على اسما أم على شيء، الخ. فقولنا مثلا (كان زيد يقرأ كتابا) ملائم بطبيعته أكثر من قولنا (كان كتاب يقرأ من قبل زيد)، الا أن قولنا (أجد زيد يقول الخنادع) ملائم أكثر من قولنا (قول الخنادع أجد زيدا). وما لم تكن الحمل المسبة للمعلوم ونظيراتها المسبة للمجهول متساوية من حيث (الملائمة) في التجارب من النوع الذي ذكرناه، فانه ليس ثمة طريقة للتأكد من مصير الصعوبة النفسية الاصاحية التي تقاس تبعاً لاختلاف زمن كمونها وهناك عامل آخر في هذا المجال وهو طول الجملة المسبة للمجهول ونظيراتها المسبة للمعلوم، اد ينبغي على أية محبة تصمم بهدف اختبار صلاحية النموذج معين من

النحو من الوجهة النمسية أن تأخذ في اعتبارها جميع المتغيرات variables الممكنة في الممارسة اللغوية، سواء أكانت من صميمها أو كانت على صلة بعيدة بها إلى المدى الذي يمكن معه تحليلها. ولقد أصبح علماء النفس في السنين القلائل الأخيرة ممن استملوا أبحاثهم من النحو التحليلي أكثر احساساً بهذه المشكلة من ذي قبل.



## ٩ - فلسفة اللغة والفكر

نتنقل الآن من المصامير التسمية للنحو التحويلي الى مصامية الفلسفية. ويجب ألا يغيب عن أذهاننا أن هذا التمييز الذي أقيمه انما هو تمييز كيمي نوعا ما، فاللسانيات والفلسفة وعلم النفس عند تشومسكي ليست مستقلة عن بعضها بعضا.

ويعتقد تشومسكي أن بوسع اللسانيات أن تساهم مساهمة فعالة في دراسة العقل البشري وأنه حتى في وقتنا الحاضر مجدها تقدم البرهان لصالح موقف معين من المواقف القائمة في الجدل الطويل بين العقلانيين rationalist والتجريبيين empiricists. وهما يلي أهم نقاط الخلاف بين هذين المذهبين الفلسفيين : يؤمن التجريبيون بأن المعرفة تتولد عن التجربة والخبرة<sup>(١)</sup>، ولكن هناك بالطبع جوانب أقل تطورا للخلاف بينهما. ولقد اتخذ الجدل بين المذهبين صورا متعددة في تاريخ الفلسفة الغربية.

كانت العلاقة بين العقل (ان كان هناك شيء كهذا، على اعتبار أن التجريبيين empiricists يسكرون وجوده) وبين ادراكنا للعالم الخارجي المحيط بنا من النقاط الهامة التي ناقشتها الفلسفة الأوروبية والأمريكية. وقد كانت تلك النقطة موضع جدل طويل مدد القرون السابع عشر والثامن عشر وحتى يومنا هذا. فهل الأمر هو مجرد تسجيل سلبي للانطباعات الحسية ومن ثم تجميعها فيما بعد وفق قوانين التداعي الفكرى associations كما يدعي التجريبيون البريطانيون مثل لوك Locke وباركلي Barkley وهيلم هولمز Hulme؟ أم هل نقول بدلا من ذلك ان ادراكنا وفهمنا للعالم المحيط بنا — كما يدعي ديكارت — يقوم على عدد من الأفكار (أى معرفة قصايا ومبادئ معينة للتفسير) وان هذه القضايا هي كامة innate وليست مشتقة من الخبرة أو التجربة؟ لقد أثر المذهب التجريبي في تطور علم النفس الحديث تأثيرا بالغا وكان مع المادية الحسية physicalism والحتمية determinism وراء الفكرة التي حمدها الكثير من علماء النفس وهي أن البيئة هي التي تحدد المعرفة الانسانية والسلوك الانساني نظرا لعدم وجود فوارق في هذا المجال بين الانسان والحيوانات الأخرى، أو حتى بين الحيوانات والآلات. والمقصود بالمادية الحسية هنا هو النظام الفلسفي الذي يمكن معه إعادة صياغة جميع ما يعبر عن أفكار الانسان وعواطفه وأحاسيسه بحيث تصبح هذه التعابير مرتبطة بحالة

(١) كلمة empiricism الانكليزية مشتقة من كلمة يونانية تعني الخبرة experience

جسمه وسلوكه الظاهر. وهنا يمكن أن تدخل ضمن نطاق القوانين الفيزيائية. أما الحتمية فيقصد بها المذهب الذي ينادى بأن جميع الأحداث والظواهر الفيزيائية بما فيها النشاط والقرارات الانسانية التي يوسمها أن نصفها بأنها ناتجة عن (حرية الاختيار) أو (الارادة الحرة) إنما هي محددة بأحداث وظواهر سابقة وخاضعة لقوانين السبب والنتيجة. وهكذا فإن فكرتنا عن حرية الاختيار لا تكاد تخرج عن حيز الوهم. أما السلوكية التي أتينا على ذكرها في معرض حديثنا عن بلومفيلد ونظريته اللغوية في الفصل الثالث، فهي نسخة خاصة من المادية الحسية والحتمية. غير أن فكرة تشومسكي عن الانسان مختلفة، إذ يعتقد أننا نمتلك عددا من القدرات المعينة (نطلق عليها اسم العقل)، وهي تلعب دورا حاسما في اكتسابنا للمعرفة وتعملنا قادرين على التصرف ككائنات حرة غير موجهة بخواهر خارجية في البيئة المحيطة بنا رغم احتمال تأثرنا بها. هذه هي القضايا التي يعرض لها تشومسكي في أعماله الأحيية ولا سيما في كتابه اللسانيات الديكارتيّة، واللغة والفكر. وقبل أن نحوض في هذه المسائل المعقدة، لا بأس من مناقشة اليهان اللغوي الذي يورده تشومسكي كي يدعم فلسفته العقلانية.

لقد كانت مدرسة بلومفيلد اللغوية تحاير باهمال القضايا النظرية العامة الى حد المفاخرة تقريبا. ولو مثل معظم اللغويين الأمريكيين (وكذلك العديد من اللغويين في شتى أنحاء العالم) قبل نحو خمس عشرة سنة عن هدف اللسانيات الأساسي لأجابوا «أنه وصف اللغات» وربما ضربوا مثلا الميزات العملية التي يحنيا علماء الاجتماع والمبشرون وغيرهم ممن تضطربهم أعمالهم لمخاطبة شعوب ذات لغات لم تكون قواعدها بعد. ولم يكن هؤلاء ليبتلوا على هذا التعريف بهدف اللسانيات، أو ليجيبوا عن هذا السؤال بالطريقة التي طرحها ساير Sapir في كتابه اللغة Language والذي بشر قبل جيل تقريبا حيث يقول: ان اللغة تستحق الدراسة لأنها وقع على الانسان ولا يمكن الاستغناء عنها في التفكير. وربما تساءل هؤلاء عن مدى صحة استعمال كلمة (اللغة) مصيغة المفرد التي استعملتها على اعتبار أن هذا الاستعمال يدل على أن جميع اللغات تشترك بخصائص معينة فيما بينها. فأتباع بلومفيلد، كما رأينا، كانوا متشككين في هذه النقطة. وقد قال بلومفيلد نفسه في إحدى فقرات كتاباته التي كانت موضع اقتباس كثير من الباحثين، ان التعميمات المقلدة الوحيدة بشأن اللغة إنما هي ذات طبيعة استقرائية inductive وان الخصائص التي نظن أنها عالمية ربما لا نجدها في أول لغة ندرسها بعد ذلك.

ان موقف تشومسكي كما عبر عنه في كتاباته الأحيية متعارض تماما مع موقف بلومفيلد. وهو يعتقد أن هدف اللسانيات الرئيسي هو التوصل الى نظرية استنتاجية deductive لبنية اللغة الانسانية بحيث تكون شاملة الى الحد الذي يمكن معه تطبيقها

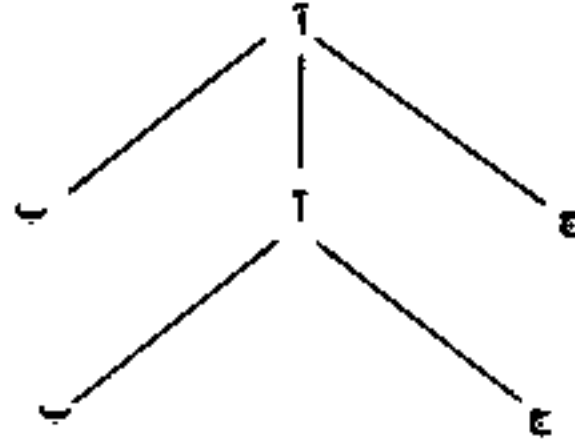
على جميع اللغات، (لا بالنسبة للغات المعروفة فحسب) بل بالنسبة لجميع اللغات الممكنة، وسعود الى هذه النقطة فيما بعد) دون أن تكون معرفة في شموليتها في نفس الوقت بحيث لا تطبق على نظم التحايط الأخرى أو أى شيء آخر لا نرغب بأن نطلق عليه اسم «اللغة». وبعبارة أخرى، فإن من واجب اللسانيات أن ترسم الخصائص العالمية والأساسية للغة الانسانية. وفي الواقع، فإن موقف تشومسكي في هذا المجال، كما يعترف هو، شبيه بموقف اللغوي الروسي رومان جاكوبس Roman Jakobson الذي يقيم في الولايات المتحدة منذ سنوات والذي أصبح في مقدمة منتقدي بلومفيلد. ويعتقد تشومسكي، شأنه في ذلك شأن جاكوبس، بوجود وحدات صوتية ونحوية ودلالية ذات صفة عالمية. ولا يعني ذلك أنها توجد بالضرورة في جميع اللغات ولكن المقصود بكلمة (عالمي universal) مدلول أقل شيوعاً للكلمة حيث يمكن تعريفها بمعزل عن أية لغة معينة والتعرف اليها عند ورودها في لغات محددة على أساس تعريفها ضمن اطار النظرية العامة. فعلى سبيل المثال، يعتقد أن هناك مجموعة ثابتة تقدر بعشرين من السمات الصوتية المميزة phonological distinctive features منها سمة (المجهور voiced) و (المهموس voiceless) التي تميز بين صوتي /ذ/ و /ث/ وبين /س/ و /ز/ في الكلمات /ثائب/ — /دائب/ و /زار/ و /سار/ الخ، وكذلك سمة (الأنفية nasality) التي تميز بين /ب/ و /م/ وبين /دا/ و /ن/ كما في الأمثلة: /أديم/ — /أديب/ و /كاد/ — /كان/ الخ. وطبعاً ألا نجد جميع هذه الخصائص الصوتية المميزة في فويجات كل اللغات حيث تختار كل لغة مجموعة محددة من مجمل الاحتمالات الممكنة تكوينها من هذه السمات مجتمعة. كذلك الأمر على الصعيدين النحوي والدلالي. فالعناصر النحوية syntactic categories مثل (الاسم)، (الفعل)، (الماضي) الخ .... والمكونات الدلالية مثل (مذكر)، (محموس)، (معدد) الخ .... إنما تلتزم تحت مجموعات ثابتة من العناصر تمكنتنا من وصف البنية النحوية والدلالية لجميع اللغات وذلك على الرغم من أنه ما من لغة واحدة تحتوي على جميع العناصر التي نعتبرها (عالمية) في النظرية الشاملة. هذه السمات الصوتية phonological features والنحوية والدلالية تؤلف ما يدعوه تشومسكي (بالعالميات الحقيقية) substantive universals في النظرية اللغوية.

الا أن أكثر ما يميز فكر تشومسكي وأكبر ناحية ابتداعية لديه هو تأكيد على ما يدعى بالعالميات الشكلية formal universals وهي المبادئ العامة التي تحدد شكل القواعد وطريقة عملها نحو اللغات المختلفة. فالتحويلات على سبيل المثال التي تربط شتى الجمل والتراكيب هي — كما يقول تشومسكي — حاضنة للبيئة structure dependent بمعنى أنها تطبق على سلسلة من الكلمات تبعاً لترتيبها في العبارات المحتملة<sup>(١)</sup>. وجميع

التحويلات التي نوقشت في الفصل السابع تحقق هذا الشرط نظرا لأن قابليتها للتطبيق — كما رأينا — كانت رهنا بقابلية المادة الداخلة input الموجودة في أصل الجملة. (وهذا ما يعنيه تشومسكي بعبارة الاعتماد على البنية structure dependency). ويقول تشومسكي أن من حقائق النحوية الهامة أنها لا تستخدم العمليات (المستقاة عن البنية) كي تربط نوعا من الحمل بنوع آخر. فمثلا إذا أخذنا الجملة الفعلية (ذهب الرجل إلى السوق) ونظيرتها الاسمية (الرجل ذهب إلى السوق) لرأينا مد الوهلة الأولى أن بالامكان وصف الرابطة بينهما بعمدية بسيطة واحدة تبديل موقعي الكلمتين الأولى والثانية. وتبقى هذه العملية مستقلة عن البنية إذا كانت محددة بواسطة قاعدة لا تتأثر بالوظيفة النحوية لكلمة (الرجل) أو للفعل (ذهب). ولو أخذنا أنموذجا أكبر كما في المثال: (كان אחوته الصغار هنا بالأمس) الذي يصبح بعد التبديل (أخوته الصغار كانوا هنا بالأمس) لرأينا أن القاعدة يمكن أن تصاغ بالشكل التالي: «بذل مكان الفاعل المنطقي بمكان الفعل وتأكد من المطابقة بين المبتدأ الجديد — أي الفاعل المنطقي بمكانه الجديد — والفعل الذي يتبعه من ناحية التذكير والتأنيث والعدد». وتبين من هذا المثال أن الجملة (ذهب الرجل إلى السوق) ونظيرتها (الرجل ذهب إلى السوق) اللتين يمكن ربطهما بقاعدة التبديل permutation إنما تقعان في نطاق قاعدة حاضنة للبنية structure dependent أكثر شمولا، ولكنه صادف أن كان المبتدأ معرّدا في المثال السابق.<sup>(١)</sup> ويقول تشومسكي أن ما يبدو ظاهريا عمدية مستقلة عن البنية ليس في الواقع سوى حالة خاصة من عمليات حاصنة للبنية أعم وأشمل.

ولقد عرض تشومسكي وأنواعه عددا أوليا من القيود العالمية المعروضة على القواعد النحوية، ألا أن صيق المقام يجمعنا من تقديم أكثر من واحد منها فقط. ولناخذ ما يسميه تشومسكي مبدأ (آ) فوق (آ)، وهو أحد قيود ثلاثة ناقشها تشومسكي في كتابه اللغة والفكر. وينص هذا القيد على مايلي: إذا كانت قاعدة تحويلية ما تطبق على عبارة من الأنموذج (آ) وكانت سلسلة العناصر التي تطبق عليها القاعدة تحتوي على عبارتين من نفس الأنموذج أحدهما ضمن الأخرى، فإن القاعدة تطبق على العبارة الكبرى فقط:

(١) آل، المترجم جيد المثال تسهيلا للشرح، فمثال الانكليزي الأصلي يحدد على اشتقاق صيغة الاستفهام من جملة إجابة John was here yesterday. يقول المؤلف إن العملية في هذا المثال تنحصر في تبديل موقعي الكلمتين (John) و (was) بوضعهم دون أي تغيير آخر. أما في الأمثلة الأخرى كما في الجملة The blast off took place on time فلا بد من استخدام الفعل المساعد (did) عند اشتقاق السؤال حيث تصبح الجملة Did the blast off take place on time?



(نرى من الشكل التوضيحي أن العبارة الكبرى من الأنموذج (آ) تسيطر على العبارة الثانية من نفس الأنموذج الذي تحتويه) ومن الأمثلة الواضحة التي يعمل فيها هذا المبدأ التراكيب الاسمية التي تتضمن تراكيب اسمية أخرى<sup>(١)</sup> فعبارة (الكتاب الذي على الطاولة) تؤلف بكاملها تركيباً اسمياً واحداً وكذلك (الطاولة) تعتبر تركيباً اسمياً آخر ضمن التركيب الاسمي الأصلي تبعاً لمبدأ «(آ) فوق (آ)» فإن أية قاعدة نقل أو حذف أو غيرها مما يطبق على التراكيب الاسمية ستأثر على التركيب الاسمي (الكتاب الذي على الطاولة) بكامله وليس على كلمة (الطاولة) فقط. وهناك عدد من الحقائق في النحو الإنكليزي وفي بعض اللغات الأخرى يمكن أن تفسر بصورة مرضية على ما يبدو في ضوء هذا المبدأ العام. ومن جهة أخرى، ثمة قواعد معينة تخالف هذا المبدأ رغم وجود ما يبرره فعلاً فيما حلا ذلك. وليس من المؤكد في هذه المرحلة من البحث ما إذا كان علينا أن نهمل مبدأ «(آ) فوق (آ)» أو أن ثمة امكانية لتعديله بحيث يعطي جميع الحالات الشاذة أيضاً. ويبدو أن هذا الحكم يطبق كذلك على جميع القيود الأكثر صرامة والتي طرحت حتى الآن. فكل هذه القيود صحيحة إلى حد معين نظراً لأنها لا تفسر سوى جزء من المادة المتوفرة فحسب. ورغم أن مبدأ «(آ) فوق (آ)» قد لا يكون فعالاً باعتراف تشومسكي نفسه، فإنه يجمع كمثال يوضح نوع القيود المعروضة على تطبيق القواعد التي يعيها تشومسكي في حديثه عن العالميات الشكلية formal universals في النظرية اللغوية

ولعل من المفيد أن نوه بأن فكرة تشومسكي حول العالميات الحقيقية substantive universals لا تتعارض بالضرورة مع فكرة بلومفيلد، فهو يقبل بعدم وجود أي من (عالمياته) المعترضة لا في (أول لغة يتم التعرف إليها) فحسب، بل حتى في عدد من اللغات المألوفة كذلك. ولهذا السبب ذكرت سابقاً أن الخلاف بين مفهوم تشومسكي عن (العالميات) ومفهوم بلومفيلد وأتباعه إنما هو خلاف في المواقف.

(١) يدمى هذا القيد في الإنكليزية A-over-A principle

بلومفيلد وتلامذته من السيويين اتبعوا بواس Boas في تأكيدهم على الاختلاف بين اللغات الانسانية. أما تشومسكي فيؤكد على التشابه بينها. وواضح أن على المرء أن يعترف بالاختلافات في البنى النحوية التي توجد بين لغات العالم، ولكن مما لا شك فيه أن المدرسة البلومفيلدية وغيرها من المدارس اللغوية في رأيها على الانحياز الى النحو المعيارى قد جحخت نحو المناقشة في التهويل من سعة هذه الفوارق وأكدت ودونما مبرر على المبدأ المقاتل ان كل لغة تشكل قانونا في حد ذاتها الا أن أوجه الشبه النحوى بين لغات مفصلة كل الانعصال ودون أن يكون بينها أية صلة تاريخية لأمر لاهت للنظر تماما كالفوارق الموجودة بينها، رد على ذلك أن التحليل النحوى الذى جرى حديثا لعند من اللغات يؤكد أن أوجه التشابه هي أكثر عمقا من أوجه الخلاف التي تعد مجرد اختلاف سطحي.

ولقد أبدى تشومسكي تحفظا أكثر من أتباعه حول اعتبار اللغات أكثر شبا بعضها في بنيتها العميقة deep structure منها في بنيتها السطحية surface structure كما أعطى قدرا أكبر من الاهتمام الى حقيقة أن اللغات المختلفة تستخدم ذات العمليات الشكلية في بناء الجملة النحوية. ويسى تشومسكي فلسفته العقلانية في اللغة على هذا النوع من التشابه بين اللغات كما مسرى الآن.

ومن الواجب أن نتذكر أن تشومسكي انتقد كلاً من نحو المواقع المحدودة ونحو بنية العبارات نظرا لأهمها لا يملكان القدرة الكافية على وصف اللغات الطبيعية ومن المفارقات أن نجد أن النحو التحويلي مد أول وهلة، وكما أشار تشومسكي، أقوى مما يجب. وهما يكمن مبدأ على جانب كبير من الأهمية وهو جوهرى في فهم فكرة تشومسكي عن النحو العالمى universal grammar. فهي معرض مناقشتنا لأهداف النظرية اللغوية في الفصل الرابع رأينا أن اللغوى عندما يصعب نحوا توليديا للغة ما فان مهمته تنحصر في تحديد جميع الجمل الموجودة في تلك اللغة (وهذا طبعا وصع مثالي لم يتحقق حتى الآن لأية لغة طبيعية، الا أن هذا لا يؤثر على الفكرة من حيث المبدأ). وتنطبق هذه الفكرة على نطاق أعم، فالنظرية اللغوية كما رأينا، يجب أن تكون على درجة من الشمول بحيث تعطي جميع اللغات، وفي الوقت نفسه يجب ألا تكون معرقة في شموليتها كي لا تنطبق على وسائل أخرى من وسائل التحاطب (لأنها تعاملها في تلك الحال معاملة اللغات). غير أن النحو التحويلي في وضعه الحالي يتيح امكانية تطبيق عند من العمليات وعدد من الطرق لبناء سلسلة من العمليات التي هي حسب معلوماتنا غير ضرورية لوصف أية لغة انسانية. والمشكلة هي التوصل الى قرار حول وجود حدود شكلية نستطيع ادخالها

صمم نظرية النحو التحويلي بحيث يتعذر معها على القواعد الموضوعية من أجل لغة معينة والمكتوبة ضمن هذه الحدود أن تصف جميع الجمل الموجودة فعلا في تلك اللغات، ولكنها تستبعد في نفس الوقت أكبر عدد ممكن مما لا يصلح أن يكون جملا nonsentences الأمر الذي يعد ضربا من المستحيل من الناحية النظرية. ويعتقد تشومسكي، كما رأينا، بأن هناك شروطا مشددة ومحددة تحكم بتطبيق القواعد النحوية لجميع اللغات، فإذا أمكنا تحديدها وصياغتها لاستطعنا بواسطتها أن نحد من قوة النحو التحويلي.

ولنتعرض الآن للتائج الفلسفية لفكرة تشومسكي المتعلقة بالنحو العالمي. إذا كانت جميع اللغات الانسانية متشابهة من حيث البنية فإن من الطبيعي أن نسأل لماذا هذا التشابه، ومن الطبيعي أيضا، أو هكذا يبدو للفيلسوف التجريبي، أن نحيط عن هذا السؤال بالرجوع الى بعض الحقائق المتعلقة بالموضوع والتي عرضها فيما يلي .

١ — ان جميع اللغات الانسانية تتناول الخصائص والأشياء الموجودة في العالم المحسوس والتي يتركها — افتراضا — جميع من يتمتعون بقدرات فيزيولوجية ونفسية سليمة.

٢ — يطلب من جميع اللغات أن تؤدي وظائف متشابهة (تقرير أشياء معينة، أو طرح أسئلة أو اعطاء أوامر الخ.).

٣ — تستخدم جميع اللغات نفس الجهاز النفسي والفيزيولوجي ولذا أن نعتبر طريقة علم هذا الجهاز مسؤولة في حد ذاتها عن بعض الخصائص الشكلية للغة.

ان لجميع العناصر التي ذكرتها علاقة بالموضوع وربما تكون قد أثرت في بنية اللغة، إلا أن العديد من العالميات، سواء الشكلية formal universals أم الحقيقية substantive لا يمكن تفسيرها مباشرة بغير هذه الطريقة. ويقول تشومسكي ان التفسير المعقول الوحيد في ضوء ما نملكه حاليا من معرفة هو أن جميع الناس مزودون بملكة لغوية faculté de langage وأن تلك الملكة هي التي تقرر العناصر العالمية مثل «خاصة الاعتماد على البنية» ومبدأ «(أ) فوق (آ)». وفي هذه النقطة بالدات يلتقي تشومسكي بالتقليد الفلسفي العقلاني.

ومما يزيد في دعم النتيجة التي توصل اليها تشومسكي عملية تعلم الطفل للغة الأم، إذ تشير كافة الدلائل الى أن الطفل لا يولد وهو مجهز لتعلم لغة معينة دون أخرى،

وبهذا نستطيع أن نفترض أن جميع الأطفال، بغض النظر عن العرق والأصل يولدون ولهم نفس القدرة على تعلم اللغات. وفي الظروف العادية نجد أن الطفل يكبر ليصبح ما اصطلح على تسميته بالمتكلم الأصلي native speaker لتلك اللغة التي يسمعهها تستعمل في بيئته التي ولد فيها وحيث أمضى سني حياته الأولى. ولكن كيف يتسنى للطفل تطوير تلك الملكة الابداعية التي تمكنه من تأليف وفهم جمل لم يسمعهها من قبل؟ يعتقد تشومسكي أن الطريقة الوحيدة لاستيعاب تعلم اللغة هي أن نفترض أن الطفل يولد وهو مرود بالمعرفة بمبادئ النحو العالمي وبما يميز تلك المبادئ من قيود وشروط، كما أن لديه المقدرة على استعمالها في تحليل ما يسمع حوله من الكلام. والجدير بالملاحظة أن النظريات التجريبية التي تبحث في تعلم اللغة لا تستطيع أن تسد الثغرة بين الكلام المعلي utterances القليل نسبيا بما يحويه من أخطاء وتردد وشرود والذي يسمعه الطفل من حوله وبين قدرته على استنباط القواعد الحوية بنفسه في وقت قصير من مادة متفرقة وأبعد ما تكون عن الكمال. ان إلمام الطفل بمبادئ النحو العالمي الذي يولد معه والذي يتحكم في بنية اللغة الانسانية يشكل نقطة الضعف في النظرية التجريبية حول اكتساب اللغة الأم. هذه المبادئ تؤلف جزءا مما نسميه «بالعقل mind» الذي يتمثل الى حد ما في بنية الدماغ أو أسلوب عمله والذي يمكن أن يقارن بالأفكار الكامنة innate ideas عند ديكارت والمذهب العقلاني ورجوعا الى أملاطون.

ولقد صاغ تشومسكي نظرية النحو التحويلي أصلا ضمن اطار اللسانيات المستقلة، كما سبق لي وبوهدت مرارا في سياق هذا الكتاب. وحيث ان تشومسكي لم يأت على ذكر القصايا الفلسفية في أولى كتاباته الا لماما، شأنه شأن معظم اللغويين وعلماء النفس، فاننا نستنتج من ذلك أنه لم ير مسوعا للجدل في نظرية المعرفة والادراك التجريبية ويجب أن نأخذ هذه النقطة في الحسبان عند تقييم أي من آرائه الفلسفية الحالية. وبما أنه على اطلاع بالأسلوب التجريبي في العلوم الحديثة فاننا نجد على يقين تام بأن الفلاسفة والعلماء سيحتجون رأيه بشأن الانتقال الوراثي لمبادئ النحو العالمي معرقا في الخيال. وذكر تشومسكي في حديث اداعي مع ستوارت هامشر<sup>(١)</sup> أن النظرة التجريبية متأصلة في تصورنا للعقل البشري لدرجة أنها اتخذت طابع التطير تقريبا. وعلى كل حال فنحن نتهم العالم البيولوجي بالصوهمية غير العلمية عندما يفترض وجود الانتقال الوراثي ثم نضوح كافة أشكال السلوك العريزي باللغة التعقيد والتي تميز الأنواع المختلفة، فلماذا نقبل بوجود تفسير السلوك الانساني بمعزل عن افتراض أية قدرات واستعدادات

(١) نشر الحديث في مجلة «المستمع The Listener» العدد ٢ - أيار ١٩٦٨

عالية التحصص (يطلق عليها اسم العقل) والتي مكتسبها بالوراثة وتظهر من خلال مرحلة معينة من تاريخ نمونا ضمن ظروف ملائمة؟

إن الأحاسيس associations التي ترتبط بها كلمة (العقل) هي المسؤولة بالطبع عن ردود الفعل المعادية لعقلانية تشومسكي فكثير من الفلاسفة، وعلى رأسهم ديكارت، أقاموا حاجزا بين العقل والجسد، وادعى هؤلاء أن وظائف الجسم الفيزيولوجية وعملياته، على عكس العقل، تخضع لنفس القوانين الميكانيكية أو الفيزيائية شأنها شأن بقية العالم المادي غير أن موقف تشومسكي يختلف عن ذلك نوعا ما. صحيح أنه يتفق مع ديكارت وغيره من الفلاسفة العقلانيين في أن السلوك الانساني لا يخضع ولا حتى جريا (للحواس) الخارجية external stimuli أو الحالات الفيزيولوجية الداخلية مما يجعل موقفه متعارضا مع فكرة الآلية الميكانيكية (أو المادية الحسية بمعناها المألوف) إلا أن تشومسكي يختلف عنهم في أنه لا يشاركهم اعتقادهم بعدم امكانية تقليص الفرق بين العقل والجسد. وقال تشومسكي في المقابلة الاداعية ذاتها ان مسألة وجود قاعدة مادية للشي العقلي هي قضية قارة من أساسها، فقد امتد مفهوم المادية في العلم الحديث خطوة خطوة ليشمل كل ما نفهمه بحيث عدما تأتي في نهاية المطاف الى فهم خصائص العقل فاسا نجد أنفسنا نوسع مفهوم المادية لتشملها أيضا. كما أن تشومسكي لا يكر امكانية تفسير الظواهر العقلية mental phenomena من حيث المبدأ في ضوء العمليات الفيزيولوجية والعمليات الفيزيائية التي نفهمها الآن. وتبين من هذه الشواهد أنه على الرغم من أن تشومسكي يطلق على نفسه صفة العقلانية فإنه يعارض مبدأ الحتمية الميكانيكية mechanistic determination وعلى الأخص المذهب السلوكي كما أنه يناقش الفلاسفة مثل أفلاطون وديكارت وبذلك يحكس أن يقول عنه أنه من أتباع المذهب المادي physicalist.

■

■

## ١٠ - الخاتمة

حاولت في الفصول السابقة من هذا الكتاب أن أعطي صورة واضحة عن آراء تشومسكي حول اللغة وحاولت أن تكون هذه الصورة متعاطفة مع آرائه، وقد تعمدت أن أتجنب أية تعليقات نقدية من شأنها أن تعيق ما قدمته أو تزيد في تعقيده. ولكن من واجبي ألا أترك لدى القارئ انطباعاً بأن موقف تشومسكي فوق مستوى النقد أو أن نقاده هم إما من المصنلين أو المتحاملين لذلك فإني في هذا الفصل الأخير سأعيد التوارب أي حد ما بأن أعطى تقييماً ذاتياً لحدى أهمية أعمال تشومسكي. ورغم أنني أتفق معه في معظم الأمور إلا أنني أعتقد بأنه ذهب بعيداً جداً في عدد من النقاط.

نقد سبق وذكرت أن أبحاث تشومسكي في صياغة النظرية اللغوية هي التي تشكل أهم مساهماته وربما كانت أشدها فعالية في حقل الأبحاث اللغوية إذ ليس ثمة شك في هذا فقد جعل تشومسكي ما يسمى (باللسانيات الرياضية mathematical linguistics) أي أفاق بعيدة كما فتح مبادئ جديدة للبحث الذي هو موضع اهتمام علماء اللغة والمنطق والرياضيات على حد سواء ولو سلمنا جدلاً بأن ليس ثمة عمل واحد من أعمال تشومسكي في النحو التحويلي ذو علاقة مباشرة بوصف اللغات الطبيعية، فإن هذه الأعمال تبقى قيمة بالنسبة لعلماء المنطق والرياضيات ممن يهتمون بساء النظم الشكلية formal systems في معرض عن تطبيقها التحريبي. إلا أنني سأكتفي بهذا القدر عن هذا الموضوع ولن أزيد.

إن ما جذب اهتمام الفلاسفة وعلماء النفس إلى أعمال تشومسكي هو بالطبع أعمودح النحو التحويلي الذي صُمم بهدف تحليل اللغات الطبيعية والذي استخدم بهجاح كبير خلال السنين الخمس عشرة الماضية<sup>(١)</sup> وكما أعلن تشومسكي نفسه فإن لتأثير النحو التحويلي مضامين معينة ومحددة بوصوح تتعلق بالفلسفة وعلم النفس ولقد وجد تشومسكي نقداً قوياً — واعتقد أنه كان مقنعاً كذلك — ضد المذهب السلوكي و (في صورته المتطرفة على الأقل) وأوضح أيضاً بمسهي الاقناع أن الفجوة بين اللغة الإنسانية وبين نظم التحايط في عالم الحيوان لا يمكن سدها عن طريق توسيع نظريات التعلم

(١) من نثره نشر الكتاب عام ١٩٦٥.

النفسية الحالية التي تقوم على اجراء التجارب على الحيوانات المحيرة. وهذا يتبع طبيعاً مبدأ  
الابداعية creativity الذي يتجلى في استعمال اللغة ولا يعتمد على مدى صلاحية أي  
أنموذج من نماذج النحو التحويلي ولا حتى على امكانية صياغة مثل ذلك الأنموذج. ويجب  
أن أكرر أنه على الرغم من أن تشومسكي أعطى مبررات جيدة تثبت أن أنموذج الحاضر  
والاستجابة stimulus and response عاجز عن معالجة جميع الحقائق المتعلقة بسلوك  
اللغة الا أنه لم يبين أن هذا الأنموذج لا يستطيع تفسير أي منها. وربما يتعلم الطفل بعض  
الكلمات التي تدل على أشياء موجودة في بيئته أو أنماطاً معينة من الكلام utterances  
كتلك التي تتكرر دوماً خاصة في مراحل حياته الأولى بطريقة يمكن وضعها بشكل  
معقول في ضوء المذهب السلوكي. (كأن نقول ان الكلمات والعبارات هي  
استجابات responses وأن الأشياء والحالات هي المحاور stimuli) وربما كان من  
الصواب أن نقول ان هذا القسم من اللغة يمكن أن يكتسب بل يجب أن يكتسب  
ويربط بالعالم الخارجي وعالم النشاط الاجتماعي بنفس الطريقة وحسباً أعلم ليس هناك ما  
يحمل على الاعتقاد بخطأ هذا الرأي أو حتى بعدم جدواه، وكل ما نادى به تشومسكي  
هو حاجة تفسير السلوكيين لاكتساب اللغة الى برهان أقوى من مجرد اللجوء الى مبدأ  
القياس هذا اذا لم يرغب في التحلي عنه بكاملة

ولكن ماذا عن المسائل الفلسفية الأشمل التي طرحها تشومسكي في أعماله  
الأخيرة؟ أعتقد أن الحكم الوحيد الذي يمكن أن يصدره وفق الأدلة المتوفرة هو أن نظرية  
تشومسكي المؤيدة للمذهب العقلاني ليست بالقوة التي يدعيها. فهي تعتمد كما رأينا  
على الصفة العادية المفترضة في مبادئ شكية معينة لتركيب الجملة في اللغات  
الطبيعية. كما يؤمن أبا اذا اخترعنا لغة صعبة تخالف بعض هذه المبادئ العامة فلن  
يتعلمها أحد مطلقاً، أو على الأقل لن يكون تعلمها بنفس السهولة والكفاءة التي  
تلمسها عندما يتعلم طفل عادي لغة طبيعية<sup>(١)</sup> لكن هذه الفرضية كما أشار نقاد  
تشومسكي لا تخصص للآليات التجريبية المباشرة، لأن من غير العملي أن يربي طفلاً منذ  
ولادته دون أية معرفة بآلية لغة طبيعية وأن عرضه فقط الى عبارات من الكلام في لغة  
مصطنعة تستعمل في مجال كامل من الحالات العادية، كما أنه ليس من الواضح أبداً  
كيف يتصرف المرء ازاء تصميم تجربة نفسية مقبولة ليس لها علاقة مباشرة بالموضوعات  
المطروحة. (لقد ذكر تشومسكي تجارب ابتدائية أجراها جورج ميلر في هارفارد الا أن  
الموضوعات في تلك التجارب كانت مستمدة من الكبار ولا يمكن أن يعترض أن النتائج

(١) مجلة المستمع The Listener ٣٠ أيار ١٩٦٨ ص ٦٨٨

صحيحة بالنسبة لاكتساب الأطفال لغتهم الأم).

وحتى لو سمحنا جدلاً بأن مبادئ الشككية التي يعتمد عليها تشومسكي هي عالمية بمعنى أنها موجودة فعلاً في جميع اللغات التي يطقها البشر فهل عندك ما يبرر اعتقادنا بأنها تلائم العقل البشري إلى الحد الذي يجب أن تتفق معها أية لغة إنسانية يمكن تصورها، وما ألسنا عاجزون حتى الآن عن إثبات أن اللغات التي تخالف هذه المبادئ تستعصي على الأساس سواء في تعلمها أو استخدامها فإن لنا الحق في حجب موافقتنا على فرصة تشومسكي بأن العالميات الشككية كامنة latent في الإنسان وربما كان التفسير البديل لصفتها العالمية أن جميع الألعاب انحدرت من أصل مشترك في الماضي السحيق وحافظت على مبادئها الشككية<sup>(١)</sup> إلا أنه من غير الثابت أن جميع اللغات مشتقة من أصل واحد وهكذا نجد أنفسنا مرة أخرى أمام فرصة يعذر إثباتها لكنها على أية حال احتمال يجب أن نقبل به. أما فيما يتعلق بالإنسيات كعدم تجريبي يهدف إلى تقديم نظرية حول بنية اللغة الإنسانية فإن من المهم بالطبع أن يدخل اللغويون في نظريتهم جميع العالميات الحقيقية والشككية التي يمكن الاهتداء إليها من خلال البحوث في لغات معينة وأعتقد أن تشومسكي كان على صواب حين قال أن تنوع النسي الموجودة في لغات العالم أقل شأنًا مما يدعيه البنيويون structuralists. ومن جهة أخرى ينبغي أن نؤكد أنه لم يتحقق حتى الآن سوى وصف عدد قليل من اللغات بكثير من العمق، حيث أظهرت البحوث الجارية التي أجريت في السنوات القلائل الماضية والتي تأثر معظمها بأعمال تشومسكي تأييداً لا بأس به لدعاة النحو العالمي (universal grammar)، ولكن يجب أن ينظر إلى النتائج التي تم الحصول عليها حتى الآن على أنها نتائج أولية وحسب، الأمر الذي يجب ألا يعيب عن أدهاننا عندما نستخدم الأدلة اللغوية في المناقشات الفلسفية.

أما ما يقوله بعضهم من أن الحدال بين المذاهب الفلسفية والنفسية القديمة المتعارضة قد فقد كثيراً من حماسه فهذا أمر قابل للمناقشة (كما في العقلانية والتجريبية

(١) هذه النقطة بالذات ناقشها تشومسكي بوضوح في كتابه اللغة والفكر ص ٧٤١ - ٧٥٠ عندما قال: «إن تطوّر على سوء فهم كبير لمشكلته بطروحه صحيح أن فرضية الأصل مشترك «لا تساعد» في شرح كيف أن الطفل يكتشف قواعد اللغة من خلال التي تقدم إليه «الأل» هذه نسيب هي مشكلته التي من أجلها طرح فرضية الأصل مشترك. وقد أراد تشومسكي بالقراءة وجود بعض مبادئ الكامن في الطفل أن يقدم تفسيراً لبنككتين في ب واحد عادية مبادئ (على افتراض أنها فعلاً ذات صلة عادية).

٢. نجاح الطفل في بناء قاعدة لغته على أساس ما يسمع من الكلام حوله ويعتبر تشومسكي الفصبة الثانية أكثر أهمية من الأولى «فاللغة تقترح من جديد» في كل مرة نحري بعضها، وإلا فشككته لتجريبه التي ينبغي على نظيره التعلم مواجعتها هي كيف يتم خترع القواعد النحوية

و الغريزة instinct والتعلم learning ، والعقل mind والجسم body، والوراثة والبيئة، وهكذا). وتشير الدراسات الحالية التي تقارن بين السلوك الانساني والحيواني الى أن ما يعتبر في العادة سلوكا غريزيا instinctual يتطلب شروطا بيئية خاصة جدا خلال فترة النضج maturation أما اذا قيل ان مثل هذا السلوك (كامن innate) أو انه (اكتسب بالخبرة) فان المسألة عندئذ لا تعدو كونها مسألة (توكيد emphasis) فالغريزة والبيئة ادن كلاهما ضروري وتكمل احدهما الأخرى. ورغم أن تشومسكي يطلق على نفسه لقب (عقلاني) كما رأينا في نهاية الفصل السابق، فانه لا يريد أن يدع نفسه بالمعارضة التقليدية بين العقل والجسم، ويبدو أن موقفه يتفق مع الرأي القائل ان المعرفة knowledge والاتجاه (الميل الطبيعية predisposition) يتطلبان شروطا بيئية محددة خلال فترة النضج رغم أنها كامنان في الأصل. وربما ذهب أحدهم في محاولته إيجاد بديل لفرصية تشومسكي الى القول ان معرفة المبادئ الشكلية للغة ليست هي الكامنة، ولكن ثمة ملكة أخرى أكثر شمولاً اذا ما أعطيت الظروف الملائمة تفاعلت معها وولدت لمقدرة اللغوية competence<sup>(١)</sup>. ومع ذلك فانه بوسعنا أن نسمي تلك الفرصية (عقلانية) بمعنى أنها تناقص الجانب الأكثر نظرفا في المذهب التجريبي وعلى كل حال فان المنتظرين التجريبيين قلة وما لاشك فيه ان معظم الفلاسفة وعلماء النفس يقولون أن بعض السمكات العقلية mental faculties هي وقف على الانسان (رغم أنهم يفصلون عدم استعمال عبارة «السمكات العقلية») وأنها مرتبطة بالوحي البيولوجية والبيئية. ومرة أخرى يجب أن نعترف بأن ليس هناك ما يشير الى صحة هذه الفرصية البديلة التي قد يجدها العديد ممن يطلقون على أنفسهم اسم التجريبيين) ولكني لا أقصد أن تشومسكي على خطأ، بل كل ما أقوله هو أن الدليل غير قاطع حتى الآن على الأقل ان حكمنا على نظرية تشومسكي العقلانية والقوية بأنها غير مثبتة لا يعني أهميتها مطلقا، حيث يتبين أن ليس ثمة ما يجانب العلم في الافتراض أن نقرر على التحدث بصفة ما تدل على وجود عدد من القواعد التويدية - سواء أكانت كامنة أم مكتسبة - في ذهن المتكلم وأن تلك القواعد هي من نوع محدد جدا وأن المتكلم قادر على «حزن» واجراء العمليات

(١) يقول تشومسكي انه ليس مقتنعا بأن هذا هو دليل حتمي وعم انه يقبل باعتبار الشروط البيئية الملائمة ضرورة لتصبح البنية الكامنة (نظم عناصر نظرية النحو ص ٣٣ ٣٤) ويعتقد ان غير خطم من الب في كيفية تطبيق كلمة (المعرفة knowledge) في إيجاد جد عامض ويفترض ان أنه حتى اشد التجريبيين نعتب لا يعجز فرضيه ما عاونه من المحتوى التجريبي غرد أنها عملي عم قايده بالاعتبار. يباشر انه من المقبول بصفه عامه لدى التجريبيين الحديثين ان «المصناعات ذات المحتوى العقلاني يجب ان تواجه بوجه عام عمليا وجود يرفع معيته يمكن ان يمارس تأثرا عيب او أن لا نلزم جانب «الحياة الكامل» لآكل البراهين «لتوفرة» ولم يكن في بيبي أن تعطي انطباعا من خلال معدي فرضيه تشومسكي ناسي تجربتها فادعاه أو يكون معني، ولكني وجدت انه من الأفضل أن اوضح هذه البعثة

على التراكيب الذهنية المجردة abstract mental structures خلال تأليف الجمل أو تحليلها. ويعتبر هذا في حد ذاته إنجازا كبيرا إذا أخذنا في الحسبان الانحياز الحاد الذي كان مسيطرا قبل مدة غير بعيدة بين أوساط اللغويين وعلماء النفس وفلاسفة العلوم ضد أية نظرية تتخطى حدود المادة التي تدرك بالحواس. ولقد كان تشومسكي محقا في تحليله لفكرة أن العقل أبسط تركيبا من أى عصور جسمي معروف وأن أكثر الفرضيات بدائية يجب أن تكفي لتفسير كل الظواهر الفيزيائية التي يمكن إدراكها بالحواس<sup>(١)</sup>.

ومن المتعذر في كتاب من هذا النوع، بل ومن غير المناسب أيضا، أن نقدم نقدا مفصلا لنظرية تشومسكي حول النحو التوليدي من وجهة نظر لغوية بحتة<sup>(٢)</sup>. ولكني سأكتفي بأن أورد نقطتين عامتين، الأولى وتعلق بالتمييز الذي يضعه تشومسكي بين المقدرة competence والممارسة performance والتي ذكرناها في الفصلين الرابع والثامن. فعلى الرغم من أن هذا التمييز هو بدون شك ضرورة نظرية ومهيجة في اللسانيات إلا أنه من غير الثابت ما إذا كان تشومسكي يصع الحد الفاصل بينهما في مكانه الصحيح. ويمكن أن نقول أن تشومسكي يصف علدا من الظواهر على أنها متعلقة بالممارسة (وبذلك فهي خارجة عن الموضوع) مع أنه من الواجب مناقشتها في ضوء المقدرة. أما النقطة الثانية بشأن مسألة التفاصيل فإن حكم أى لغوي على الطريقة الأكثر طبيعية أو الأكثر وضوحا في وصفه لمادته إنما هو أمر نسبي وغير محدد، ولا بد لنا من أن نصيف أنه من غير الواضح دائما متى تكون الفوارق بين نوعين من الوصف لمادة واحدة فوارق أساسية ومتى تكون مجرد فوارق في الرموز والمصطلحات. ولقد قال تشومسكي ذاته في معرض حديثه عن الأعمال الحالية في النحو التوليدي «إن الحقل في الوقت الحالي في وضع غير مستقر ولا بد من مرور بعض الوقت قبل أن يتقشع الغبار ويتم حل عدد من القضايا البارزة ولو مؤقتا<sup>(٣)</sup>» كما ادعى تشومسكي في كتاباته الأخرى الأكثر تكنيكية والتي نشرت مؤخرا أن الفوارق بين موقفه وموقف العديد من اللغويين الآخرين في كثير من هذه القضايا إنما هي فوارق في التسميات ليس إلا. لكن الكثيرين لا يتفقون معه في هذا الرأي.

ولن أحاول من جهتي أن أبرر النقطتين اللتين أوردتهما فقد أتيت على ذكرهما

(١) اللغة والفكر (ص ٢٢).

(٢) يمكن للقارئ أن يطلع على المراجعة التي كتبها (ب. هـ. مالور) لكتاب تشومسكي عناصر نظرية النحو من أجل التعرف على ثلاث التقنيات لتعامل اللغة في هذا الموضوع.

(٣) اللغة والفكر (ص ٥٤، حاشية ٦).

كي أنه حتى اللعويين الذين عاليا ما يتعاطفون مع آراء تشومسكي ربما يحتفلون معه حول قصايا عديدة، كما أن هناك باحثين آخرين لديهم بالطبع اعتراضات أكثر أهمية على النحو التحويلي.

ولقد سبق وذكرت في بداية هذا الفصل أن من واجبنا أن نتخيل على الأقل احتمال رفض نظرية النحو التوليدي التي طبع بها تشومسكي بإجماع اللعويين يوما ما باعتبارها خارجة عن إطار وصف اللغات الطبيعية. ويجب أن أضيف كذلك أنني شخصيا أعتقد (ويشاركني اعتقادي هذا العديد من اللعويين) أنه حتى لو فشلت المحاولة التي بدأها كي يصيغ المفاهيم المستخدمة في تحليل اللغات فمحاولة نفسها ستوسع ادراكنا لهذه المفاهيم دون حدود وأن الثورة (التشومسكية) في هذا المجال لا يمكن إلا أن تنجح .

## نبذة عن حياة تشومسكي

ولد أرمن روم تشومسكي في فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا في السابع من كانون الأول عام ١٩٢٨، ونمى تعليمه الأول في مدرسة أوك لين ثم في المدرسة المركزية العالية في فيلادلفيا، وبعد ذلك التحق بجامعة بنسلفانيا حيث درس اللسانيات والرياضيات والهندسة. نال تشومسكي درجة الدكتوراة من جامعة بنسلفانيا رغم أنه أجرى معظم بحثه الذي نال بموجبه درجة الدكتوراه في جامعة هارفارد عندما كان عضواً في جمعية إرمالة فيها وذلك في الفترة ما بين ١٩٥١ و ١٩٥٥ ومدة عام ١٩٥٥ مارس تشومسكي مهنة التدريس في معهد ماساتشوستس لتكنولوجيا حيث يحتل الآن مرتبة الاستاذية في علم اللغات واللسانيات وتشومسكي متزوج وله اثنان وولد

حظيت أعمال تشومسكي بالتقدير في النواثر الأكاديمية فمُح درجة الدكتوراة الفخرية من جامعة شيكاغو ومن جامعة لويولا في شيكاغو ومن جامعة لندن، كما دعي لآلاف المحاضرات في عدد من البلدان. ففي عام ١٩٦٧ ألقى تشومسكي محاضرات في ييكمان في جامعة كاليفورنيا في بيركلي، وفي عام ١٩٦٩ ألقى محاضرات جان لوك في جامعة أكسفورد ومحاضرات ذكرى شيرمان في جامعة لندن

وقد حقق تشومسكي أول شهرته في ميدان اللسانيات حيث تعلم قسماً من مبادئ اللسانيات التاريخية من والده الذي كان عالماً في العبرية (وقد قدم تشومسكي نفسه جزءاً من بحثه الأول في اللغة العبرية الحديثة عندما نال درجة الماجستير). إلا أن العمل الذي يشتهر به الآن وهو بناء نظام النحو التوليدي تطور من خلال اهتمامه بالمنطق الحديث وبأسس الرياضيات حيث طبقها فيما بعد على وصف اللغات الطبيعية

ولقد كان للعام ريلك هاريس، وهو أستاذ في اللسانيات في جامعة بنسلفانيا، أهمية كبيرة في تطور تشومسكي الفكري وذكر تشومسكي نفسه أن تعاطفه مع آراء هاريس السياسية كان الدافع الحقيقي وراء التحاقه بدراسة اللسانيات في بداية مرحلة دراسته الجامعية ومن هنا تبين كيف أن السياسة هي التي أدت به إلى اللسانيات أبدى تشومسكي اهتمامه بالسياسة منذ نعومة أظفاره، ومدة عام ١٩٦٥ أصبح من

أبرز المعارضين لسياسة أمريكا الخارجية، كما أن مجموعة مقالاته المنشورة في كتاب القوة الأمريكية والماندريين المجدد والذي كتب إهداءه (إلى الشبان الشجعان الذين رفضوا الخدمة في حرب إجرامية) تعتبر لدى الكثيرين إحدى أقوى الأدابات للتورط الأمريكي في فيتنام التي ظهرت حتى الآن.

## المصطلحات اللغوية

Abstract	مجرد
Active	نشط
Affix hopping	قمر المحلقات
Agreement	التبعية، التوافق
Ambiguity	الليس، العموص
Ambiguous sentence	جملة فيها ليس لهوى
Analogy	القياس
Artistic creation	الابداع الفني
Associations	التداعي المعكرى، الأحاسيس المرافقة
Automata theory	نظرية الآلة
Auxiliary	مساعد
Base rules	قواعد الأساس
Competence	المقدرة اللغوية
Communication	التخاطب، الاتصال
Compound	مركب، معطوف
Complex	معقد
Concord	التوافق
Conditioning	التأقلم
Context	السياق
Context free	مستقل عن السياق
Context sensitive	حساس، مرتبط بالسياق
Constituent structures	تراكيب المكونات
Constructional homonymy	التماثل البائى
Coordination	العطف
Creativity	الابداع
Decision procedures	أساليب القرار

Deductive	استنتاجي
Deep structure	البنية العميقة
Depth theory	نظرية العمق
Derivation	اشتقاق
Derived	مشتق
Describe	يصف
Description	وصف
Descriptive	وصفي
Determinism	الحتمية
Discovery procedures	أساليب الاكتشاف
Discrete units	وحدات مفصصة
Disposition	ميل، برعة نحو شيء ما
Dominate, immediately	يسيطر مباشرة
Duality of Structure	ثنائية البنية
Embedding	التصميم
Emphasis	التوكيد
Empiricism	التجريبية
Empiricist	من يتبع المذهب التجريبي
Evaluation procedures	أساليب التقييم
External stimuli	الحوافز الخارجية
Faculties, mental	الملكات العقلية
Features, distinctive	السمات المميزة
Final state	الموقع النهائي
Finite state grammar	نحو المواقع المحدودة
Focus transformation	تحويلة الإسقاط
Formal	شكلي
Formalizing	صياغة
Formal systems	النظم الشكلية
Generate	يولد
Generative ability	المقدرة التوليدية

Generative grammar	النحو التوليدي
Grammaticality	الخاصة النحوية
Habits	العادات
Immediate constituent analysis	التحليل الى المكونات المباشرة
Inductive	استقرائي
Informant	المعلم
Information theory	نظرية المعلومات
Initial state	الموقع الابتدائي
Input	المخل، المادة الداخلة
Instinct	الغريزة
Instinctual	غريزي
Intonation	نغمة الصوت
Intuition	الحدس (اللغوي)
Kernel sentence	الجملة النواة
Knowledge	المعرفة
Latency	الكمون
Latent	كامن
Linear structure	بنية أفقية، خطية
Mathematical linguistics	اللسانيات الرياضية
Maturation	النضج
Mechanism	الآلية الميكانيكية
Mechanistic	آلي، ميكانيكي
Memory	الذاكرة
Memory, short-term	الذاكرة قصيرة الأجل
Memory, long-term	الذاكرة طويلة الأجل
Mental	عقلي، ذهني
Messages	الرسائل
Mind	العقل
Morpheme	المورفيم، أصغر واحدة نحوية ذات معنى
Morphology	المورفولوجي، علم الصرف

Morphophonemic	نحوى — صوتي
Nasality	السمة الانفية الصوتية
Native speaker	المتكلم الأصلي
Neural signals	الاشارات العصبية
Normative grammar	النحو المعياري
Observational adequacy	الملائمة الظاهرة
Open ending	النهاية المفتوحة
Operational	عملياتي
Overt	صريح، جلي
Parts of speech	أقسام الكلام
Passive	سليبي
Performance	الممارسة، الأداء
Permutation	التبادل
Phonemes	الفونيمات، الواحدات الصوتية
Phonology	الفونولوجي، علم النظام الصوتي
Phrase marker	واسمة العبارة (التحليل بشكل الشجرة)
Phrase structure	بنية العبارات
Physicalism	المادية الحسية
Plausible	معقول، ممكن منطقيا
Predicate	المسند، الخبر، المحمول
Prescriptive	وضعي
Produce	ينتج
Production	انتاج
Psychological behaviourism	السلوكية النفسية
Radical behaviourism	السلوكية الراديكالية
Rational	عقلاني
Rationalism	العقلانية
Rationalist	من يتبع المذهب العقلاني
Recur	يتوالى، يتكرر
Recursion	توالى، تكرار

Recursive	متوالي، متكرر
Reinforcement	تعزيز، تدعيم
Response	استجابة
Scientificness	الخاصة العلمية
Self-embedding	ذاتية التضمين
Semantic	دلالي
Semantics	علم الدلالة
Sign	إشارة
Simplicity	البساطة
Situation	المقام، الموقف
Stimulus	الحافز
Stimuli	الحوافز
String	سلسلة
Structuralism	البنوية
Structuralis	من يتبع المذهب البنوي
Structure	البنية
Subject	الفاعل، المبتدأ، الموضوع
Surface structure	البنية السطحية
Syntactic categories	العناصر النحوية
Syntax	علم النحو
Terminal elements	العناصر النهائية
Thought	الفكرة
Time adverbial	ظرف زمان
Transformation	التحويل
Ultimate constituents	المكونات النهائية
Underlying	تحتي
Ungrammatical	غير نحوي، خطأ نحويًا
Units	وحدات
Universal grammar	النحو العالمي
Universals	العالميات

Universals, formal

العالميات الشكلية

Universals, substantive

العالميات الحقيقية

Utterances

الكلام الفعلي

Variables

المتغيرات

Voiced sound

الصوت المجهور

Voiceless sound

الصوت المهموس